الكتابة هي النجاة

يوميات

مها سالم الجويني

الرقصة الأخيرة

من قرطاج إلى الصين

مكتبة 1253
صفصافة
SEFSAFA PUBLISHING HOUSE
WWW.SEFSAFA.NET

الرقصة الأخيرة

من قرطاج إلى الصين

مها سالم الجويني/ قاصة وكاتبة تونسية صدرت لها عن دار صفصافة مجموعة قصصية بعنوان "عاشقة من إفريقية"، خبيرة في مجال الذكاء الاصطناعي والتكنولوجيا الرقمية، حاصلة على ماجستير في التكنولوجيا التطبيقية اختصاص ذكاء اصطناعي. جامعة تيانجين للعلوم والتكنولوجيا في الصين، وتدرس حاليًا مرحلة دكتوراة. تعمل في مجال التحول الرقمي وسياسات الذكاء الصناعي بدول الساحل والصحراء.

الرقصة الأخيرة
طبعة 2023
رقم الإيـــــداع: 2022/19700
الترقيم الدولي: 978-977-821-285-3
جميع الحقوق محفوظة ©

مكتبة
t.me/soramnqraa

13 7 23

الناشر
محمد البعلي

إخراج فني
علاء النويهي

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن رأي دار صفصافة.

صفصافة
SEFSAFA PUBLISHING HOUSE
WWW.SEFSAFA.NET
sefsafapr@gmail.com

دار صفصافة للنشر والتوزيع والدراسات
49 شارع المخزن- العمرانية- الجيزة- مصر

مها سالم الجويني

الرقصة الأخيرة

من قرطاج إلى الصين

يوميات

مكتبة 1253

صفصافة
SEFSAFA PUBLISHING HOUSE
WWW.SEFSAFA.NET

بطاقة فهرسة

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية،
إدارة الشئون الفنية

الجويني، مها سالم
الرقصة الأخيرة من قرطاج إلى الصين/ مها سالم الجويني
الجيزة، دار صفصافة للنشر والتوزيع والدراسات، ٢٠٢٢
١٤٨ ص، ٢٠ سم
تدمك ٣-٢٨٥-٨٢١-٩٧٧-٩٧٨
١- المذكرات في الأدب العربي
أ- العنوان

٨١٨,٠٣

رقم الإيداع: ١٩٧٠٠/٢٠٢٢

لا يهمني ما يقال وكيفما يقال أيضا، انت المها التي أحب

مريم بن نافلة

حفظ الله جميع أمهاتنا

تيانجين 1 جانفي، 2018

مكتبة
t.me/soramnqraa

هذا أول أيام السنة الجديدة، وقررت أن أجعل منه يوما عاديا، نهضت من فراشي رتبت غرفتي، لم أنصت – كعادتي – إلى الأغاني الأمازيغية، ولم أفتح "الماسنجر" للرد على رسائل أصدقائي وكل من يلقبني بالزعيمة وينادوني بالقائدة. قررت أن أحسم أمري وأحيا كطالبة باحثة في جامعة تيانجين، أحمل كتابي وكراسي والكثير من الأقلام.

توجهت نحو المقهى المسمى بكافيتيان، وهو ركن صيني يديره شابان يجيدان الإنجليزية، جلست وسط الكافيتيان وطلبت قهوة "كابتشينو مع كوب ماء، وفتحت كتاب الأبجدية الصينية وشرعت في الكتابة والحفظ.

ولكنني توقفت قليلا.. لقد تشتت ذهني حين جلس إلى جانبي لورانس وهو يبتسم لي مشجعا إياي على المضي قدما في التعلم، تشتت ذهني لأني تذكرت صديقتي في الثانوية، تلك التي لا تنفك تتفاخر بخطيبها، وتسخر مني في كل مرة أخبرها بأني سأتوجه للمكتبة العمومية لقراءة بعض الكتب.

كانت ضحكاتها بمثابة مسامير تثقب رأسي، وكنت ألزم الصمت

أمامها لسببين أولهما كونها تكبرني سنا، وثانيهما لأن الجميع كان يناديني بـ "العزري"، ولم تكن لي أية حظوة وسط قريناتي وكانت تلك السطحية الوحيدة التي ترضى بمصادقتي، ربما لأني أتحمل مزاحها الرديء، أو لعل بشاعة مظهري الذكوري وشعري الأشعث يجعلانها تبدو أكثر جمالا وأزيد أنوثة أمامي.

والدتي أيضا كانت تسأل رب العالمين أن يحوّلني إلى فتاة تنبض جمالا، لتتباهى بي أمام العالم لأنها سئمت شكلي الغريب، ولا سيما حين تراني مع بنات الحي، يراودني إحساس أنها كانت أكثر سعادة لو أنجبت فتاة مثل: أحلام أو ليلى أو خولة. لا يهم! المهم أن تكون لها فتاة على مقاس المجتمع!

لم تكن تمانع ذهابي إلى المكتبة للمطالعة، لأن لا أمل لديها بان أحظى بزوج على غرار صديقتي وابنة عمي وابنة خالي وابنة الجيران، ربما لأن شعري كان أشعث فوق العادة، أو ربما لأن بشرتي لم تكن بيضاء كالتي كانت لأحلام، فمع بشرتي السمراء وشعري الأشعث ولباسي العادي لا أثير اهتمام أي كان. لذا فإن قراءة الكتب في حارتنا القديمة هو ملاذ البشعات أمثالي، حيث لا وسيم يلاحقك ولا جارة ستطرق باب بيتكم على أمل الظفر بزوجة لابنها...

انتهى حلم اليقظة.. وضعت قلمي حذو الدفتر، وطلبت من لورانس أن يشرح لي بعض الرموز وخطوط تبدو لي متشابهة، أمسك لورانس الدفتر وبدأ يرسم، كنت أتابعه وأحاول تقليده

ولكني أفشل، فلا ألف ولا ياء ولا تنقيط.

كيف لي أن أفهم كل هذا؟

ابتسم صديقي الافريقي مرة أخرى، وقال بأنني أبدو أكثر جمالا كلما اعترت الحيرة وجهي..

تيانجين 3 جانفي 2018

الكافيتيان مرة أخرى، أمامي كوب شاي صيني أحاول احتساءه، وأحاول أيضا أن أخفي مدى كرهي للمشروبات الصينية بشتى أصنافها، ربما لأن امكانياتي المادية لا تسمح لي بشراء الشاي الفاخر والاستمتاع به، أو ربما لأنني سئمت تصنع الانبهار أمام كل ما يقدم لي هنا في الصين.

في شوارع هذه المدينة المشطة أثمانها، تعترضك علامات الحزب الشيوعي وشعارات العمال والثورة الماوية، وسط مبان لشركات أمريكية وفرنسية وإسرائيلية، أنظر للمطرقة والمنجل وأبتسم، فوجه الشيوعية المتناقض يحملني دوما إلى رمز حزب العمال الشيوعي في بلد عربي، زوج ابنته لابن رجل أعمال واختار مقر حزبه في أفخم شارع بإحدى العواصم العربية، وكان مقره قبالة المركز الثقافي الأمريكي حيث تلتقي السيارات الفارهة والأحذية الأنيقة.. في عقر البرجوازية.

في جامعة تيانجين، يسعى الطلبة الصينيين هنا لإظهار شتى أشكال الالتزام والتفاني في الدراسة والعمل، فترى البعض منهم يكاد يذرف الدمع لو تغيب أحد الأساتذة عن القسم، أستغرب حال

هؤلاء؟ كيف يهرولون نحو أقسامهم وكيف يطأطئون الرؤوس أمام أستاذهم: لاوشي ليست مجرد مهنة! بل رتبة ألوهية تجعلك أحد المقدسات في الصين كبوذا مثلا!

أو كونفوشيوس!

من أجل ذلك اتخذت من شباب تانزانيا وأثيوبيا أخلاء، فهم يشبهونني كثيرا. يتأخرون أحيانا في القدوم إلى الدرس، ويتغيبون بعض الأحيان عن مواد اللغة الصينية، ويدخنون معي النرجيلة الممنوعة أصلا هنا!

منذ فترة دأبت الجلوس مع يوهانس، شاب أثيوبي أسمر اللون يجيد خلق النكات والسخرية، أصبحت أجلس حذوه في كل حصة حيث نضحك ونتابع الدرس ونمازح الباكستانيين، وأرى من يعيشون حالة من الانفجار منذ أن قدموا إلى الصين.

أن تكون صديق الأفارقة في تيانجين يعني أنك محاط بمحاربين يحملون حقد الاستعمار.

لا ريب أن الخطاب الصيني يقوم على دعم الصداقة الصينية الافريقية، ولكن لا يمكنني أن أنسى أن الصينيين يسموننا بفياجو! وجذر فاي يعني كل ما هو رديء وأسود، اسم قارتنا يحمل الكثير من العنصرية والاحتقار.

فاليوم مثلا، بدا الاستغراب على وجه النادلة حين أخبرتها أنني افريقية، فبالنسبة لها أنا بيضاء اللون وأشبه الأوروبيين، صراحة

سعدت كثيرا حين أطرت على جمالي وإعجابها بلون بشرتي وأنا بعزة التونسية الأصيلة. أجبتها بأننا مختلفون: نحن لسنا عربا ولسنا كبقية الأفارقة نحن تونسيون فقط!

تونسيون دفعة واحدة أو لا نكون.

من حظي أنني كنت وحيدة في المقهى اليوم، فلا ياسر اليمني كان معي ولا أحد الشباب التانزانيين. أظن أنني تنكرت لهم وأنا أعدد مزايا بلادي.

تيانجين، 5 جانفي 2018

يعتريني غضب هذا اليوم.

في الصين يوجد 56 أقلية لديها حقوقها ويلتزم جلّها بالحلم الصيني، حلم الأمة الصينية العظيمة إلا نحن! فنحن لا نتجاوز الأقليات الخمس، الاثنية والدينية أو سمها ما شئت، ولا يمكننا أن نتفق على موقف وطني موحد.. كل يغني على ليلاه.

كل لا يرى إلا مصلحته الخاصة، وما من أحد يذكر تلك الشامخة العليلة بين الأمم تونس الشهيدة كما وصفها الثعالبي ذات يوم.

لك الله يا بلادي!

واختاري من الأرباب ما تشائين: رب يسوع أو رب موسى أو رب محمد أو أكوش رب الأمازيغ!

وإن شئت دعوت لك بوذا ليقيك بعض الشرور!

إنني مغتاظة، أشتهي رفع العلم الوطني وأمضي به نحو جبال الشمال هناك، لأدك المشعوذات اللواتي يحرسن الزوايا، ولأشتبك مع حرس المرور ولأقاتل البغايا ممن يبعن أجاسدهن لزوارنا من ليبيا والجزائر.

سأذهب إليهن وحدي وأخبرهن بأن هذا الوطن ليس ماخورًا.

كم اكرههن يا تونس، وكم أحقد على أعدائك فقد أصبحوا أعدائي بالضرورة.

لا تظني أنني أكره العيش فيك بل أكره من يتخذك مسكنا.

إنني غاضبة لم أستطع الحديث مع لورانس، ولم أكتب إليه هو ذلك الإعلامي المخضرم الذي فشل في أن يكون شاعر البلاد بعد الصغير أولاد أحمد، لقد كان حديثه شيقا كما صوته الجهوري، ولكن مزاجي كان غاضبا ولم تكن لي رغبة لأقول مديحا فيه.

حين أغضب أعود لطبيعتي البربرية، ذات متوجهة لاعنة لا تحتمل أحدا وإن كان ذلك الوسيم.

وحينها أتوقف عن نفاقي الاجتماعي.

* * *

نارجيلتي هذا المساء تشابهت مع مزاجي السيء، كل شيء اتفق على أن يكون مزاجي سيئا.

أخبرني كمال أن الكتابة فعل مقاومة حقيقي وها أنا أقاوم يا أمي.

وهل لي بوجه أمي لأحضنه وأخبره بأنه أطهر من يمينهم

ويسارهم وما بينهما؟

وهل لي بمريم وسط برد الصين القاسي كما قلوب أهلك يا بلادي؟

لم لا نحبك يا تونس؟ أو لم لا يطيب العيش فيك يا تونس؟ لِمَ لَمْ تعد لي رغبة مغازلة شبابك؟ أراهم مقيتين كوجه حرس الحدود ممن يستجوبونني عند كل رحلة، أصبحوا مثلهم يسألون عن العذرية وعن علاقاتي وما تحت سرتي وصوري الخاصة.

بصراحة لم أعد أطيق غباءهم كم أود لو أصفع أحدهم عند كل سؤال.

أن أكتب عن الجنس والوطن والسياسة، لا يعني أن أكتب لأرضي غرور بعض المتحذلقين الباحثين عن أمجاد في مغازلاتي.

أخبريني هل عليّ التوقف عن الحديث في الحب؟ أم علي تغيير المداخل والمخارج وإعادة النظر في مقاييس الوسامة والوطن؟

6 جانفي 2018

علي الانتهاء من كتاب اليوميات المبكرة لسوزان سونتاغ، والتفرغ لقراءة يوميات بوكوفسكي أو بوكفسكي، صراحة أنا لا أعرف اسمه وأجيد إخفاء ذلك، وأجيد أيضا التظاهر بأنني من عشاق الأدب الواقعي الذي يطرح قضايا المجتمع بطريقة سوداوية، نعم أجيد ذلك علما أنني لا أحبذ ذلك الطراز الأدبي، لأنني أقرأ من أجل المتعة والجمال ليس من أجل مشاهد بشعة؛ كرجل عجوز قضى عمره سكيرا بين الحانات، أو ككاتبة غبية تقضي ليلها تنتظر يساريا فاشلا لتتركه يعتليها، وتُقرف مزاجي صباحا بصورة لفنجان قهوتها، وتدوينة مع مقولة مستوحاة من كتاب يوميات بوكوفسكي حول فلسفة الحياة - الكاتب الأمريكي الذي أصبح الحديث عنه موضة مثقفي البلاد وكاتبات الفايس بوك - أظن أنه بات من الواجب التعرف على ما يكتبه، وحفظ بعض العبارات لأقي نفسي أصحاب الألسن المريضة حراس معبد الثقافة في بلادي، ممن يعشقون الحديث بعبارات مترجمة من النصوص الأصلية لأصحابها والتفاخر بها عند كل مجلس.

هم ثلة من مثقفي البلاد يعيشون الثقافة مثلما تعيش صديقتي ذكرى آخر صيحات الموضة، والفرق أن ذكرى تفيدني في اختيار

ملابسي، وتلك الجماعات تجتهد في تجفيف منابع الابداع وإيقاف سيل طموحي الجارف.

أظن أن رواد "بولفار" الحبيب بورقيبة لا يعرفون معنى الطموح، ليس لأن أغلبهم فشل في ذلك وظل يصارع طواحين الهواء أو اختلق أعداء وهميين سماهم قوى الردة، بل لأنهم جبناء ويتقاسمون الجبن فيما بينهم.

أراهم يخشون مغادرة مقاهي الحبيب بورقيبة نحو مقاهي المرسى أو البحيرة، بل يصرون على المكوث مع بعض هكذا كما يتصرف الخائفون من القصف الخارجي، هنا في الصين تفضل إدارة الأجانب مراقبة العلاقات بين الأجانب والطلبة الصينيين، وفي بعض الأحيان يتم منع الشابات الصينيات من الدخول إلى السكن الطلابي للأجانب.

يمكننا تفهم خوف الصينيين ودواعي انغلاقهم، فهم أصحاب مصالح ولديهم صراعاتهم الإقليمية مع الأمريكان واليابانيين والهنود، وللصين أيضا مشروعها الثقافي الخاص بالحزب الشيوعي الصيني في نسخته الحالية، التي لها آراؤها في الثقافة وأنا لا أزل أقرأ في هذا المجال.

ولكن هل من أحد يشرح لي خوف حراس معبد الثقافة في بلادي؟

لا أجد شروحا، بل أجد رغبات لتفجير ذلك "البولفار" والحانات التي فيه، لننهي تاريخ اليسار الكاذب، ولنقتل تلك الأيقونات التي تمارس دور الأب وتشدنا للخلف وتورث الجبن والغبن لجيل الديسباسيتو.

نعم جيل الديسباسيتو الذي أصحبت جميلاته يكتبن: وكان وجهك جميلا بين يدي الجلاد!

يا غبية!

يا هبلاء!

وجهه أجمل حين يهديك تذكرة سفر لإسطنبول أو الدار البيضاء.

وجهه أجمل حين ترتدين الفستان الأبيض، وتقفين إلى جانبه أمام الملأ كزوجة يتفاخر بها.

لا يزال غباء الرفيقات متوارثا جيلا بعد جيل، لأنهن يرفضن الاعتراف بأن الحب عند مثقفي حراس المعبد وسيلة حتى يمارسوا الجنس ببلاش!

في حالات أخرى تتكفل الرفيقة النسوية بإيجار ومصروف البيت وتساعده في دراسته ومن خلال مساندتها له يتمكن

الزعيم من تقلد مناصب عليا في الحزب؛ حيث يثبت للجميع التزامه وانضباطه فيتحول ذلك المتسلق، قراد الخيل إلى مسؤول عن الأخلاق والقيم وبعد سنوات تهرم تلك الرفيقة ويبدأ ظهرها بالانحناء قليلًا وتحيط التجاعيد عينها.

يومها يقرر الرفيق الشيوعي استبدال الرفيقة بعروس أصغر سنًّا تسكن الضاحية الشمالية ترتدي ماركات باهظة تحدثه عن أبطال المسلسلات التركية وطلبات والدتها من مصوغ وملابس.

رفاقنا شيوعيون يواعدون المناضلات المتحررات إلى حين ظهورهم في التلفاز وحصولهم على عقود عمل مستقر في أي من الحكومات المتعاقبة على تونس.

7 جانفي 2018

وأخيرا أنهيت كتاب سوزان سونتاغ وشرعت في كتاب مولود فرعون، بصراحة أصبحت أثق في ذوق صديقي في الروايات والمراجع، فهو يلتهم الكتب والروايات العالمية خاصة، إلى حد أن بعض صديقاتي نصحنني بالسعي إلى تجاوزه، الأمر لا يزعجني ولا أفهم لماذا ينزعج البعض من الأخذ عن الآخرين والاستفادة من تجاربهم؟

أنا شخصيا أحترم كلمة معلم ومدرب وأستاذ. لكل مقامه ولي مقامي في مجالي الخاص، فصديقي الذي أثق فيه يجتهد، على الأقل فقد كان ينصحني ويعاملني بجدية على خلاف الآخرين، ممن يمطرونني "لايكات" على صور دون أن يقرؤوا لي حرفا واحدا، كذلك البعثي الذي يسميني بالجميلة رغم ما أصرح به يوميا ضد الأحزاب القومية واليسار العربي.

ولكن لا يهم.. ما علينا هو نشر صور جميلة والبقية تأتي في رسائل أو في حجم "لايكات".

كصورتي التي نشرتها اليوم عليها تهاني برأس السنة الأمازيغية، حيث قرأت تحتها العديد من التعليقات الجميلة والسخيفة - في

جلها - ولاسيما من نوع أنتم أمازيغ، لم تصلوا لنضال أمازيغ المغرب وليبيا والجزائر.

حين كنت في الكونغرس العالمي الأمازيغي، كنت أرد بكل دبلوماسية على هذه التعليقات وأذكر أمجاد القبائل والريف وجبال الأطلس، كنت أذكره بحب ولكن ببعض التملق للحفاظ على وحدة الصف، وفي يوم تم منعي من ركوب الطيران الإماراتي وتحديدا في شهر ديسمبر الماضي، عندما كنت بصدد مغادرة لبنان، جمعت حقائبي من الفندق بعد أن انتهيت من تصوير حلقة لصالح قناة البي بي سي، حول رأس السنة الامازيغية وتاريخها ووضع الامازيغ في بلاد المغرب الكبير.

أخبرني الموظف بالمطار بأنه لا يمكنني صعود الطائرة، والسبب هو مسألة سيادية تخص الأمن الإماراتي، شعرت بالكثير بالحرج سيما أن الصف كان طويلا وأنا وسط الناس حاملة حقيبتي وعلى وجهي ملامح الإرهاق، لقد كانت رحلتي لمدة يومين قضيتهما في أستوديو التصوير والنقاش مع الصحفية المغربية مريم وباقي فريق عمل البرنامج.

بكيت حينها، كنت أفكر في من سيدفع لي تذكرة الطيران للعودة وأين سأنام أنا طالبة مقيمة في الصين حيث يمنع هناك العمل عن الطلبة الأجانب وليس من السهل خرق القوانين في

الصين فكل مخالفة تعني السجن وتعني عودتك إلى بلادك..

كان مطار رفيق الحريري يكتظ بالمسافرين، وكنت بينهم أحمل جوازي التونسي وأحاول التوقف عن البكاء، وأقول في نفسي أنا لست إرهابية ولا ناقة لي ولا جمل في صراع الباجي قايد السبسي وشيوخ الإمارات؟

وجدت نفسي ماسكة بهاتفي وأقول: "أنا تونسية ولا أخجل، يمنعوني عن الطيران الاماراتي لأن جنسيتي تونسية، ولأن الإمارات قررت منع التونسيات ركوب الطيران الإماراتي، نحن القرطاجنيات نمرض ولا نموت".

تونسية والبقية تفاصيل، اليوم وطني مستهدف واليوم سفير تونس في مطار رفيق الحريري يبحث في أمر منعي من ركوب الطائرة، لقد كانت لحظات من الخيال كانت لاسم الوطن حينها مذاق آخر، وطني إلى جانبي والجميع يغرد باسمي متعاطفين في الظاهر ومقهورين في الباطن، كيف لنا أن نهان هكذا! دون سبب وجيه؟ ودون تعويض؟ ودون احترام؟

من أجل ذلك تغير أسلوب كتابتي، وكأنني من الحركة الوطنية أو لعلني كنت متشبعة بالخطاب الوطني، ولكني كنت أنتظر فرصة للمصالحة مع بلادي وأظن أنني تصالحت معها، وقبّلت جواز سفرها وأنا أبكي.

لطالما حلمت بأن أدافع عن وطني وأقول فخرًا أنا امرأة تونسية،

لكن الأمر لم يكن سهلًا وكأن الوطن امتياز لمجموعات ضيقة من النساء. فالاتحاد الوطني للمرأة التونسية كان حكرًا على النساء القريبات من الحزب الدستوري والتجمع الديمقراطي حزب بن علي وبما أحمله من أفكار يسارية والتزام بالصراع الطبقي فلن تقبل بي نساء اليمين.

وحين أتوجه يسارًا لا أرى نفسي بينهم ولا يمكن لي أن أحمل سياسات جمعية ترفض المحجبات كعضوات في مكاتبها وكأن أمي المحجبة أقل نضالًا منهن. لا تزال النسوية في تونس تتخبط في أفكار يسار السبعينيات وهيمنة أفكار الحزب الشيوعي عليها رغم محاولات الصادقات فيهن للتغير ولكن دار لقمان على حالها.

تيانجين 8 جانفي 2018

أتلقى اليوم تكريما من موقع أصوات مغربية، فقد تم اختياري "شخصية العام"، الأمازيغية الأكثر تأثيرا في تونس وضمن أهم خمسة نشطاء أمازيغ بالمغرب الكبير، كان الخبر بعنوان "أمازيغ طبعوا سنة 2017 ".

كان الخبر عظيما بالنسبة لي. لقد كان اسمي مع كمال فخار الدين وناصر زفزافي وسهام بادي وسالم العلقي، أسماء لامعة يشهد لها بنضالها والتزامها بقضايا شعبها ودفاعها عن التعدد الثقافي واللغوي بالمغرب العربي الكبير.

بكيت كثيرا وكتبت: أهدي هذا التكريم إلى تونس الخضراء لكل التونسيات، عله يشفي جراحتنا من إهانة العرب لنا.

كدت أطير من الغبطة حتى أنني ابتسمت في وجه "لاوشي ما" عرضا وأنا في طريقي نحو الحديقة.

"لاوشي ما" وهو أستاذ في بداية العشرين من عمره، يعمل بمكتب الطلبة الأجانب يتحدث القليل من الإنجليزية، ويبدي الكثير من الامتعاض للطلبة الأفارقة ولي شخصيا. هو صيني تقليدي يحمل أحكاما مسبقة عنا، فسحب لاوشي ما وزميلته جان

أننا شعوب ليس لدينا كهرباء ومياه صالحة للشراب، وجامعات فخمة وأدب وتاريخ وعلينا تقديم الشكر والامتنان لإدارة الجامعة لأنهم يقدمون لنا منحا للدراسة هنا.

أفكارهم جد بغيضة نحونا وأنا يزداد شعوري بالضيم يوما بعد يوم!

"لا تسقني ماء الحياة بذلة لفاسقني بالعز كأس الحنظل"

عنترة العبسي.

إلهي أعنّي عليهم ليس لي إلا أنت، أعنّي عليهم مراقبين ومراقبات مكتب شؤون الطلبة وحكام وطني والنخبة العربية وكل من يتآمر علينا من أبناء جلدتنا.

ماذا لو كانت تونس تفرض احترامها على الآخرين؟ كأي دولة أوروبية تمكننا من الجامعات الفخمة والمكتبات ووسائل النقل المريحة والطرق السليمة التي لا تتحول إلى بحيرات صغيرة من الطين كلما هطلت الأمطار.

تيانجين 9 جانفي 2018

أيام قليلة تفصلني عن عيد ميلادي الحادي والثلاثين، منذ فترة بدأت أتصالح مع العمر، بل أعتبر نفسي محظوظة لأنني في مثل هذا السن أزاول تعليمي العالي بعيدا عن بلاد القهر والكبت، وبعيدا عن سلطة العائلة ورقابة المجتمع.

كم تبدو جميلة سنواتي الثلاثين وأنا أقتحمها في بلاد الجنغوا، هنا وسط هذه الحشود الآسيوية بكل أطيافها وأعراقها وأديانها. هنا حيث يمكنني أن أرتدي ذلك السروال الأزرق والقميص البني ذي الصدر المفتوح، وأتوجه بهما إلى المرقص مع الأصدقاء. أمام حياة الحرية التي أحياها أتساءل أحيانا كيف لابنة خالتي نجوى أن تطيق العيش في تونس؟

فتاة مثلها تجاوزت الخمس والثلاثين: تعمل يوميا لتعود للمنزل فتقيم الصلوات الخمس، وتعتني بابنة أخيها الصغيرة ثم تنام لتستعد ليوم آخر، وفي عطلة نهاية الأسبوع الذي أقضيه أنا وفق طقوسي الخاصة تقضي نجوى "الويك إند" بين المطبخ وغرفة الغسيل.

لطالما سألتها: كيف تستطيعين العيش دون قصة متمردة؟

كيف تقضين أيامك بعيدا عن أفعال العشق والحب واللهو دون قبلات مسروقة عند شاطئ الضاحية الشمالية؟

كانت تضحك وتخبرني بأنني حلمها الذي فشلت في تحقيقه، وأنها تسعد بالاستماع إلى مغامراتي التي تعتبرها اكتفاء ذاتيا لها ولكل نساء الأسرة.

صراحة أنا لم أكن حلم نجوى فقط، بل أنا فخر أمي المخفي الذي أدركته يوم طردت أخي من بيتنا، حين حاول تهديدي بالعنف والتطاول علي، فصرخت في وجهه وواجهته فطأطأ رأسه وغادر غرفتي، يومها كانت أمي تحاول إخفاء سعادتها من فعلتي، ومن تحرري ومن قدرتي على حماية نفسي. كان وجهها ينطق فرحا وكأنها تقول: مها حرة ولا تخشى أحدا!

كانت تقاسيم الفخر تتراقص على وجه مريم كلما صدر مني أي نقد للمجتمع، أحسب أن أمي تحاول كتم قهقهة تحاول الخروج من صدرها ولاسيما حين تحدثت لراديو سوا واشنطن، عن كتابي عاشقة من افريقية وأخبرتهم أن قصصي ترسم أوجاع النساء في مجتمعاتنا الذكورية، وشرحت كيف نولد من أعراف تجردنا من إنسانيتنا ومن كرامتنا الفردية.

سالت الدموع من عينيها. أعلم أنها دموع المنتصر فهي لم تعد مهزومة كما قبل، ولن تخشى أن تصيبني كليشيهات: تربية هجالة!

اليوم أنا كاتبة وطالبة علم في بلاد الصين!

عانت أمي كثيرًا من أهلها: تعرضت للطلاق وهي في أوائل العشرينيات، وعليه قضت سنوات في بيت أخيها، وهي تحمل وصمة المطلقة، وثم في أواخر السبعينيات تزوجت بوالدي. لا أظن أن أمي كانت سعيدة بالقدر الكافي مع أبي، أغلب الظن أنها كانت تخشى من المجتمع الذي لن يقبل بها في حال ما انفصلت عن زوجها مرة أخرى.

يوم توفي والدي في ٢٠٠٣، طلبت منها الإقلاع عن مظاهر الحزن.

وقلت لها: نامي بارتياح، ولا تأبهي لعماتي، ولا لأعمامي، ولا لإخوتي، كل يفكر في نفسه، إلا أنت أيتها المسكينة.

احتضنتني كعادتها واستغربت حديثي الذي اعتبرته أكبر من سني وتحدثت معي عن ذكرياتها الجميلة مع أبي وكيف التقته في مقهى بشارع الحبيب بورقيبة وكيف كان لطيفًا معها، ولكن علاقتها به عرفت فتورًا بسبب العمل والأطفال وتكاليف الحياة المضنية في العاصمة تونس ووفاة والدتها وابتعادها عن ضاحية الشمال حيث كانت تسكن قرب البحر. أوصتني بالاهتمام بدراستي وبأن أسلك طريق العلم.

استمعت إلى حديثها بتروٍّ وأنا أهتف في نفسي:

يسقط مجتمع الرجال يا أمي!

ساقط مجتمع الرجال يا مريم!

تيانجين 10 جانفي 2018

قررت أن أشتري من السوق الالكترونية تاوباو، لباس رقص شرقي: تنورة طويلة بها فتحة على اليمين ومعها صدرية زهرية اللون، لن أخبر أحدا بهذا القرار ولن أكتبه على صفحتي بالفايسبوك. لا أريد أن تكون كتاباتي خارج سياق خطاب النضال النسوي هذه الأيام، المرتكز حول سيطرة المجتمع على الجسد وإشكالات الجسد في الفضاء العام، وغيره من المصطلحات التي أراها غير نافعة في سياق العالم الافتراضي، كتبت إحداهن بعبارات بسيطة تفهمها أمي وبنات الجيران وأبناء الحي حيث تمارس الجرائم ضد النساء.

لماذا الخطاب المعقد!

وما الدواعي لكل هذه التعقيدات؟

وما الدواعي لارتداء الكوفية الفلسطينية في مناسبة وحتى عند شرب القهوة؟

أنا شخصيا لا أضع الكوفية ولا الشارة الأمازيغية ولا أي شيء قد يخفي شكل قميصي وقد يِذهب نصف جمالي:

تقول صديقتي كلما تجاذبت معها أطراف الحديث حول قضايا النساء: نحن قضايا ولسنا أجسادا تثير! وتبدأ في التنظير بفلسفة سيمون دي بفوار وبقفشات من كتابات نوال السعداوي. أبتسم وأتظاهر بالسمع وأشاطرها الرأي وأغادر المقهى بلطف، وأضع سماعات هاتفي لاستمع لإحدى أغاني نانسي عجرم لا يمكنني أن أبدأ مسائي بأغاني: انهض للثورة والثار!

صراحة أنا لا يزعجني أن يكون جسدي مثيرا!

ولا أرى في ذلك إساءة، فلقد تمكنت اليوم من أداء تابلو رقصة تحت الشباك للراقصة المصرية "دينا"، ولم أجد الأمر صعبا. عادة كنت أجد صعوبة في تحريك ساقي اليسرى وتثبيت يدي فوق، وبعد فترة من التمرينات غدوت أكثر مرونة قد يعود ذلك لدروس اليوغا ولالتزامي بها يوميا، كما أنني أحاول تجاوز عقدة أنني وحيدة كما نقول في تونس "مكبوبة سعد"، لا حظ لي مع أحد وكأنني نخل دون عراجين لا يمكن لأحد الاستظلال بي.

أقف أمام المرآة أنظر لخاصرتي، أحسّ أنّ بطني ازداد تكوّرا وأردافي ازدادت بعض الكيلوغرامات، أما عن ساقي فهما تحاولان مجاراة الألحان الكلاسيكية التي أتخذ منها موعدا مع وطني.

11 جانفي 2018

هذا عيد ميلادي!

كل سنة وأنا نجمة وأنا فاتنة وأنا حنونة وأنا (سبع صنايع والبخت ضايع)!

واحد وثلاثين سنة من الكفاح والظلم والفشل وقليل من النجاحات، أولها أني وجدت من يرافقني للاحتفال بعيد ميلادي بقضاء يوم في ملاهي مدينة تيانجين.

حسين شاب إفريقي من جزيرة زنجبار، محافظ يرى فيّ العربية المسلمة المتسامحة مع الأفارقة، وكذلك أذكره بالعرب العمانيين ممن سكنوا زنجبار.

أنا فتاة تجاوزت الثلاثين، وحيدة على قدر عادي من الجمال ولي علاقات غير مستقرة، أحتاج رفيقا جيدا لمرافقتي في مثل هذا اليوم.

كان حسين راقيا معي، قدم كل التطمينات لي لأكون صديقته أو زوجته المستقبلية، ولكنني استمت في الرفض لسبب خجلت من الإفصاح عنه؛ وهو أنني أكبره بثلاث سنوات.

ثلاث سنوات فارق بيننا جعلي أحبط أحلام ذاك الفتى.

كان أمامي يشاركني إطفاء الشمع، مع ضوء هادئ وأمنياته الجميلة لي، وهديته الباهظة وتحمّله لكل تكاليف اليوم من الدخول لمدينة الملاهي والدعوة على العشاء والنرجيلة والصور وذلك اللطف الذي أبداه هذا اليوم.

ولكني كنت ولا أزال سجينة مسألة السن، أنا ثلاثينية على أبواب العنوسة، ولن أقبل بشاب سيجعلني أرى في نفسي أما له لا حبيبة.

لا أدري، ولكنني أنهيت المسالة بأن أجلت علاقتي به بعد امتحانات آخر السداسي الثاني.

حسمت الأمر بيني وبين نفسي دون أن أروي القصة لأي أحد، ولاسيما صديقاتي المقربات بتونس، اللواتي سيقدّمن لي الكثير من النصائح بخصوص الحبّ ومكانة الرجل والرومانسية وكوني وحيدة وأحتاج إلى رجل يقاوم معي آلام الغربة وتقلباتها، ولكن الصديقات لا يعلمن أن الذين يعترضوننا في الغربة هم أكثر خطورة ممن نعاشرهم داخل حدود الوطن.

هناك في تونس ينتهي الألم حين أقبل وجه أمي

وهنا لا دواء لجراحنا.

20 جانفي 2018

لا يزال حسين يلاحقني، والحقيقة كانت ردودي بين الرافضة والموافقة، ولكنني حسمت الأمر هذه المرة حين تبين أنني أختلف عنه جذريا. أنا هنا من أجل حلم اشتهي تحقيقه وأرى في وجودي انتصارا شخصيا وفرديا لي.

أنا القادمة من زمن الاحتقار، وتاريخ دون تقويم. هناك حين أحيى دون أب مع أخ غير شقيق، جعل من جسدي ووجهي مرتعا لعنفه اليومي واللفظي.

هناك، حين أبكي وحيدة إلى جانبي والدتي الطيبة، التي قدمت جسدي وروحي قربانا لأخي الأرعن، حتى تحيا العائلة واحدة موحدة تحت سقف بيت واحد، وحارة يقدر فيها الجميع أسم والدي وجدي رحمهما الله.

كانت أمي تعتبر أن مشاكلي مع أخي قد تنتهي في حال ما تزوجت، وعليه ومنذ 2013 كانت تمارس أمي شتى أشكال الضغوطات لآتي إليها بأي عريس مهما كان شكله المهم أن أتزوج.

ولكن: عشق الحرية ضرب من الجنون.

اخترت أن أصارعهم وانتصر مرات وفي النهاية: أنتصر وأنا أمام كمبيوتري، أرقن هذه الكلمات وألعن ذكوريتهم.

وألعن حسين الذي يحاول التدخل في شؤوني كثيرا، ويصر على ذكر أسماء بلا معني بالنسبة إلي: زواج وأسرة وحياة مشتركة.

28 جانفي 2018

أصر حسين على دعوتي إلى العشاء هذا المساء، كنت جد متعبة ومرهقة ولا أريد شيئا ولكنني قبلت دعوته. غادرت غرفتي توجهنا إلى مطعم إسباني للأجانب حاولت أن أبدو مختلفة هذا المساء.

وضعت بعض مساحيق التجميل وتجمّلت، ولكنني لم أستطع تغيير عاداتي وخاصة تلك الريبة التي تعتريني كلما يقترب مني أحدهم، ولا سيما المدللين من الرجال ممن يبحثون دوما عن تجارب أخرى وقصص أخرى يحيونها.

أولئك الذين قدمت لهم الحياة كل ما يشتهون: وظيفة ووسامة والكثير من المال والمجتمع مسلم يجعل منه كائنا مكرما.

مرت الدقائق ركيكة كزمن الغربة.

وها أنا أغادر المكان وأتوجه مسرعة إلى المبيت الجامعي، نحو غرفتي لأعد نارجيلتي ولأشاهد فيلما يريحني ووفق طقوسي الخاصة، أصبحت لا أحتمل الحديث الكثير وتلك الاسئلة من نوع: ماذا لو تزوجنا؟ وكيف تقضين وقتك وحيدة؟

ولماذا أنت في غرفتك؟ امنحيني فرصة أخرى!

فرصة ماذا أيها الأبله؟

منذ متى كانت المشاعر فرصا تمنح؟ لقد علمني أستاذي منذر وأنا في سن الثامنة عشر، أن الحب هو أن ننظر نحن الاثنين إلى نفس الطريق وليس أن تأتي بعشاء بمطعم أنا أحبه.

هنا على تخوم الغربة تتغير المفاهيم، فنحن هنا من أجل التحصيل الأكاديمي، ومن أجل وطن فارقناه كرها حتى سور الصين، يوازي مثقال حبة من تراب الخضراء.

هنا على تخوم الغربة يصبح العشق لنسائم الوطن مختلفا وتصبح نجاحاتنا البسيطة انتصارات في عيون أمهاتنا، هل فهمت يا صديقي؟

أكيد لم تفهم، فبيني وبينك خبزة وكرامة وطنية...

لم نولد في المكان نفسه: أنا أتيت من زمن البطالة والعمل الحقوقي.

لا نملك الذكريات نفسها: لي ذكريات في تبرسق مدينة جبلية في شمال غرب البلاد، ولي حكايات في حاراتنا الخشنة، ولي تاريخ في بلدان زرتها في إطار عملي ونضالي واجتهادي. أنا لم أطف العالم مثلك كسائحة أو مع والدي رجل الأعمال... أنا لم ألعب الباربي، ففي حارتنا لا يوجد باربي، لقد كنا نلعب بالحجارة مع الصبيان.

أتعلم أيها الوسيم أن الفقر علمنا المساواة الفعلية؟ أتعلم أنني لا آبه بـ"ويك إند" في فندق فخم لأني لم أولد على فراش من حرير... كنت الفتاة رقم خمسة بعد أربعة بنات، وليس لي صور كثيرة وأنا طفلة. لي تاريخ يشبه تاريخ أصحاب الخبزة نحن من نحلم بأن نحيا بكرامة لا أكثر، وحين يراود حلم الكرامة النساء، تغدو ابتسامتك الجميلة تفصيل بين طيات بحثنا عن الحرية. من أجل ذلك أخبرتك أن ما يفصلني عنك هو: خبزة وكرامة الوطنية وسنواتي الثلاثين الملعونة.

2 فيفري 2018

تحدثت مع الأستاذة "لي" هذا الصباح، حول الماوية في تونس تفاجأت "لي" بحديثي عن اليسار الماوي وعلت على وجهها الدهشة!

أخبرتها أنّنا نغني نشيد الأممية أيضًا الذي هو نشيد الحزب الشيوعي الصيني نفسه، ازدادت دهشة "لي" بقدر ما تفاقم استغرابي من موقفها.

"لي" أستاذة مختصة في الدراسات الإفريقية وتستعين بي دائمًا في أبحاثها حول التعليم في إفريقيا والسياسات التعليمية في القارة، وخاصة كل ما يتصل بالنقص وحول المشاكل التي تواجهها مؤسسات التربية والتدريب في القارة. وكنت دومًا أمد يد العون ليس لأنني أحترمها وأقدر جهودها العلمية فحسب؛ بل لأن ذلك واجب محتم عليّ، فهنا لا يمكن لك رفض أي طلب يقدم لك من الجامعة أو يطلبه أحد أساتذتها أو أعوانها وموظفيها منك.

بل أكثر من ذلك فحين تطلب الجامعة خدمة من أي طالب فعليه أن يفرح ويهب للعمل! لأنها فرصة لا تقدر بثمن لأي طالب باحث هنا.....

دأبتُ على التردد على مكتب الأستاذة "لي" وكلما حاولت التطرق لمواضيع تخص الحزب الشيوعي وتاريخه إلا وصمتت "لي" عن الحديث وتوجهت إلي تسألني وهي تتصنع العفوية عن النظام السياسي بتونس وعدد السكان وتكرر سؤالها المعتاد الذي صار مع الوقت مستفزًّا: مها لماذا لا تسافرين إلى إيطاليا رغم قربها إليكم؟

أجيبها بأنني أحب الجنوب وأنني منبهرة بخطوات ماو تسي تونغ وأسرد لها أنني كنت طالبة منخرطة في الاتحاد العام لطلبة تونس ولي أفكار ماركسية – ماوية.

لا تطرب "لي" لمثل هذا الحديث. فقد صارحتني مرة بأنها تستغرب انخراط شباب تونس في الأحزاب الشيوعية رغم قرب تونس من أوروبا. ولا تخفي دهشتها دومًا من معرفتي بتاريخ الحزب الشيوعي.

فسرت ذلك بجهلها بتاريخ اليسار العربي وبانخراط قيادات الحركة الوطنية بتونس في الحراك الأممي العالمي وحاولت العديد من المرات أن أحدثها عن النقابات والنضال والمطالبة بالحقوق الاجتماعية وكانت تنصت إلي باهتمام وتظل تعيد ذلك السؤال: لماذا الشيوعية؟

"لي" لم تنخرط في الحزب الشيوعي الصيني لأنها مسيحية الديانة وتريد الإبقاء على ديانتها وتسعى لاستكمال بحوثها في

أمريكا وترى أنه على الصين الانتفاخ أكثر على الغرب والعمل على جلب أكثر عدد من الطلبة الأجانب هنا، "لي" إنسانة متجددة وترى نفسها ثورية لأنها قاربت الخمس والثلاثين سنة ولم تتزوج بعد بل إنها تفكر في الزواج من أجنبي.

أفكار الأستاذة "لي" التي تطرحها معي في نقاشات خاصة تشعرني دومًا بأنها غير مهتمة بالماضي ولا بتجارب اليسار العربية طالما أن نظام الحكم في منطقتنا لم يكن شيوعيًا بالتالي تاريخ اليسار العربي لا يعني لها الكثير. وكانت في كل مناسبة تكرر ملاحظاتها المعتادة: كيف كان نظام الحكم عندكم؟ كيف تساهم الدولة في محاربة الفقر؟ وكيف يتم تكوين الشباب وتدريبهم؟

أسئلة كنتُ أجيب عنها باقتضاب في البداية. ثم بدأت أبحث عن نقاط مضيئة في النظام التعليمي التونسي لأقف عليها وأخبرها عنها وأحاول تسليط الضوء على المجتمع المدني التونسي ودوره في دمج الشباب. وهذا الأمر الأخير يستوقف "لي" كثيرًا، لأنها ترى أن المجتمع المدني أقوى من الدولة وتسألني من أين يأتيهم الدعم؟ هل الحكومة التونسية هي من تقدم ذلك؟

أشرح لها نظام الدعم الدولي والمنح التي يقدمها الاتحاد الأوروبي والتعاون الألماني والولايات المتحدة الأمريكية للجمعيات التونسية وحتى العربية، تصغي إلي باهتمام وتسألني كل هذا الدعم مقابل ماذا؟ ماذا ستقدم هذه الجمعيات للمانحين؟

3 فيفري 2018

قضيت كامل اليوم وأنا أفكر في نظرة "لي" إلينا!

كيف تعتبرنا "لي" وكيف يرانا بقية الأستاذة هنا؟ هل يروننا متسولين يمن علينا صندوق النقد الدولي بالهبات والصدقات؟ أم يروننا أذكياء لأننا أقنعنا الآخرين بدعمنا، وها نحن نحيا بالمال الأجنبي؟ أم أنها تسألني عن ذلك فقط لتتضح لها الصورة عن تونس وشبابها العاطل عن العمل؟

في هذه الأثناء، خمنتُ في ذهني كيف ستكون ردة فعلها لو علمت بأن قيادات يسار البلاد تحولت إلى المجتمع المدني وأصبحت هي مَن يطلب التمويلات الأجنبية وهي أيضًا مَن يُدافع عن أجندات الممولين بل فيهم من يشارك سفارة فرنسا في أنشطة أكثر من الحكومة التونسية.

أي يسار هذا الذي يغني نشيد الأممية ويطرح ملفات ليبرالية يدافع عنها على شاشات التلفزيون؟

لا يمكن هنا لأي جهة أجنبية أن تقدم أي تمويل لأي جمعية أو رابطة في الصين! لأن في ذلك مساسًا بالسيادة الوطنية الصينية، بل استمعت مرة للأستاذ "بان" المختص في توجيه الطلبة

الأجانب يقول إن نظام الأمم المتحدة نظام غير عادل ويسعى دومًا للوقوف إلى جانب الغرب ضد الدول الفقيرة وخاصة الإفريقية من أجل ذلك يدعونا "بان" للحذر من سياسات الأمم المتحدة.

السيادة الوطنية في الصين أمر مقدس!

الأجنبي يظل أجنبيًا وعليه احترام النظام حتى لا يمس من سلامة الأمة الصينية التي ناضلت وكافح شعبها من أجل الوصول إلى هذا الرخاء، رخاء تهدده الأخطار الخارجية الغربية! وخاصة الأمريكية منها.

أحب كثيرًا النقاش مع "بان" أرى فيه الحلم الشيوعي الذي رافقني وأنا طالبة في الجامعة بتونس، " بان" رجل نحيف في بداية الأربعين يحمل شهادة دكتوراة وهو مختص في تاريخ العلاقات الصينية الإفريقية، سافر كثيرًا إلى إثيوبيا، يتحدث القليل من الأمهرية وليس لديه أصدقاء إثيوبيون رغم أن الجامعة تستقبل كل سنة قرابة مئة طالب وباحث من إثيوبيا.

يتحدث بصوت هادئ ويضع دومًا على سترته الرمادية شعارًا صغيرًا للحزب الشيوعي الصيني، يهابه الجميع ويحترمونه وأنا أيضًا علي الاستماع له والإنصات إليه، لا خيار لي!

وعقب كل نقاش معه أقول: نعم فهمت وأومِئ برأسي علامة التأمين والموافقة والفهم!

هنا لا نقاش، هنا يتحدثون أمامك وتصمت وتقدم أفكارك بطريقة دبلوماسية أو بالأحرى بطريقة تروق لمسامعهم.

"بان" كذلك لا يعرف شيئًا عن الأحزاب الشيوعية بإفريقيا! وما يرويه يثير دهشتي.

هل الحزب الشيوعي الصيني لا يتواصل مع الأحزاب الشيوعية في القارة وفي المنطقة العربية كيف ذلك؟

6 فيفري 2018

تحصلت على كتاب باللغة الإنجليزية حول الزعيم "ماو تسي تونغ"، الكتاب من منشورات جامعة بكين لونه أحمر عليه العلم الشيوعي وصورة "ماو"، أو المعلم كما يفضل الصينيون الحديث عنه، صوره في كل مكان وعلى جميع الجدران. وعادة ترافقها صورة "شي جين بينغ" الرئيس الحالي للصين وللحزب الشيوعي.

يبدو الكتاب مملًّا منذ البداية فكل ما فيه حديث عن الحلم الصيني والتنين الصيني الذي نفض الغبار عن نفسه بفضل التزام "ماو" ورفاقه بالنضال ضد الفقر والتهميش والطبقات الفاسدة.

قرأت قليلًا، وبدأ الملل يرافقني. فتساءلتُ ماذا استفادت "مها" من كل هذه المعلومات السطحية والأمجاد وصور البنايات والمنشآت والجامعات وشباب اصطف رافعًا للراية الشيوعية وعلى وجهه الامتنان والرضى؟

أين الانقلابات والتاريخ الدامي والتحالفات والصراعات وانقلاب الأربعة وكل الروايات التي تخص الحزب الشيوعي!

وزوجته بجعة الأوبرا الصينية التي وافتها المنية في سجن في الصين بعد أن تمت الإطاحة بها بل يُحكى أنها كانت تتهم بالبرجوازية لأنها كانت تعزف البيانو وترتدي لباسًا مثل الغربيات.

لا شيء!

سوى تعاليم ووصايا وفخر وعبارات تضاهي فخر الجاهلي بأسلافه.

كأنهم يقولون لكل أجنبي، نحن هنا كابوس الغرب، نحن هنا كصور الصين أشداء على الأعداء لا ننهزم!

المجد للأمة الصينية التي واجهت الفقر وها هي تدعو أصدقاءها للمجد بالسير على خطى الحزب الشيوعي الصيني.

الكتاب لا غبار عليه، أظن أن الغبار يَرينُ على اليسار التونسي. فنحن يسار دون زعماء، شكري بلعيد لولا عملية الاغتيال التي لحقت به في ٦ فبراير ٢٠١٣ لما ذكره أحد ورغم الضجة التي قامت حول عملية الاغتيال ورغم محاولة استغلالها في الحملات الانتخابية بعد أشهر في الانتخابات فلم يحصد يسار البلاد سوى صفر، ها ها ها أكاد أموت من الضحك!

الجبهة الشعبية تتقدم للانتخابات بقائمة تحمل اسم شكري بلعيد والشهيد محمد البراهمي الذي تم اغتياله بعد شكري في ذكرى عيد الجمهورية بنفس السنة. شهيدان، أسدان يتقدم بهما اليسار التونسي في الانتخابات البرلمانية ولكنه يُتوج بصفر

وقصيدة تأبينية كتبها حمة الهمامي: نم يا حبيبي نم!

تخولت بعد ذلك حكاية الصفر كناية ونكتة للسخرية من كل ما هو رديء في تونس!

هذا اليوم هو الذكرى الخامسة لاغتيال الشهيد شكري، فبراير يمر ثقيلًا في تونس وأثقل على قلبي حيث أشاهد صور الشباب يتظاهرون من أجل معرفة القاتل وقنوات أجنبية تغطي الذكرى الخامسة للاغتيال وشيخ يسكن قصر قرطاج اسمه الباجي قايد السبسي يكلف ابنه ليعبث في البلاد وفي حزبه.

فبراير ما أثقلك على قلبي!

14 فيفري 2018،

مكتبة
t.me/soramnqraa

كيف تفهمين الرجل؟

سؤال أصبح وجوديا بالنسبة لي، بعد أن حققت رقما قياسيا في عدد علاقات الفاشلة، الفشل تلو الآخر، وكأني أواعد الفشل شخصيا، فأصبح الأمر روتينيا، بالنسبة إلي تبدأ العلاقة بلهفتي وأنا أركب التاكسي مهرولة إليه، وتنتهي وأنا اركب المترو أو القطار وأستمع إلى الموسيقى واقضم من قطعة الشكولاتة.

هناك في حمام الأنف أو في الصين لون الفشل واحد؛ زهري ضاحك معه قطعة كيك وطعم المعسل المنعنع، النرجيلة رفيقة الفشل وهي الآن صاحبتي في عيد الحب المجيد.

كل سنة وأنت طيبة نرجيلتي الحبيبة!

يعج هذا البار بالشباب، كل إثنين في ركن يقبلون بعضهم وكنت أنا الرقيبة عليهم؛ أقيس حجم القبلات وأسعار الفساتين وأحاول أن أسترق الشم من عطر فتاة روسية كانت تجلس ورائي، حفظتها السماء ما أجملها!

كانت تلك الروسية ترتدي فستانا أحمر قصيرا، وحقيبة مايكل

كورس التي يعادل سعرها راتبي أضعافا مضاعفة، وكانت تعانق شابا صينيا. وكنت أمسك بالشيشة أسترق النظر إليها تارة وإلى النادل الباكستاني تارة أخرى، آلمني وجهه وهو شارد الذهن فيها، كنت أحس به وهو يلعن الفقر، وحدهم أغنياء تيانجين من الشباب الصينيين من يعاشرون الروسيات وجميلات أوروبا الشرقية.

آه نسيت شباب السعودية أيضا لهم باع مع جميلات أوروبا الشرقية هنا.

يحوم الباكستاني حول الفاتنة الروسية، ويتركني أنا أقوم من طاولتي لأحصل على الفحم للنرجيلة، أنهض وأمسك ضحكتي لأني على علم بوجعه وأني على علم أيضا بآلام الوحدة.

أفتح لاب توب، أتوجه إلى الفايسبوك أتصفح، ويستوقفني هذا المنشور "كيف تفهمين الرجل؟" تعليقات ونصائح ووصايا وأذكار وأدعية وتنمية بشرية وتاريخ وجغرافيا وبعض من علوم الرياضيات أيضا، علقت كباقي المتابعات وكتبت "حسبي الله ونعم الوكيل".

نعم فشلت في أن أفهم هذه الكائنات، ومنذ أن فشلت قررت أن لا أفهم وأترك الأمر كما هو عليه، حتى أنني اليوم تركت حسين في الحديقة يلتقط صورا مع الثلج المتساقط، وأخبرته

بأنني متوجهة وسط المدينة لوحدي، ابتسم لي ولكنني لم أكترث لابتسامته.

الاعتراف بالفشل أجمل الانتصارات، نعم أنا فاشلة وها أنا اليوم أتصالح مع نفسي، وأخبر قلبي بأنني لن أجره في معارك خاسرة بعد الآن وعليه فلن ننهزم ولن ننتصر أيضا، سنكون كدول عدم الانحياز لا يهمنا الحلف السوفياتي ولا الحلف الأمريكي، نحن غير معينين بمن حولنا.

نحيا بسلام، لنا هذه النرجلية، وهذا الشاي الصيني، ومقاهي البلاد.

15 فيفري 2018

انتهى عيد الحب ولله الحمد، انتهت عبارات "وا أي ني " أحبك باللغة الصينية وعدنا للحياة العادية شاي صيني وعمل.

لا يمكن أن تلتقي بصيني عاطل عن العمل، العمل هنا عبادة أو شرف إن صح التعبير، يحب الصينيون العمل. يقول الأجانب هنا إن الصينيين يعبدون المال ولكنني أرى عكس ذلك.

أعتبرهم شعبًا ملتزمًا بحلم الرخاء الصيني قد لا ينتبه الناقدون لهم بالمكانة التي قد يصل إليها الشباب الصيني في المستقبل، الصينيون لا يتصرفون بعفوية وراء كل شيء هنا هدف؛ علاقتهم معنا نحن الأجانب هدفها تعلم اللغات الأجنبية.

هم يصادقوننا من أجل تحسين مستوى تعلمهم للغات الأجنبية. فنحن طلبة قسم الحوسبة والتكنولوجيا التطبيقية نلتقي دومًا بطلبة قسم اللغات ليتسنى لهم التدرب على الحديث باللغة الفرنسية والإنجليزية. أما طلبة قسم الحوسبة من الصينين فهم يفضلون الصمت أمامنا للتعرف على مشاريعنا وكيف يمكن لهم الاستفادة منا. وبما أننا متأخرون في مجال التكنولوجيا ونحن من نسعى للتعلم منهم تقنيات وتطبيقات الدفع المالي والتعرف

على الوجه وخاصة نظام المراقبة فإننا نبدو غير مهمين بالنسبة إليهم باستثناء صديقنا "كابير" النيجيري الذي كان مستواه جيدًا في مادة صناعة الروبوتات وكان الوحيد الذي يحظى بدعوات للعشاء وللحفلات.

يقول "كابير" إن الطلبة الصينيين ليسوا أذكياء ولكنهم مجتهدون جدًّا وشغوفون بالمعرفة ولا يضيعون الوقت. فهم مختلفون عنا كثيرًا بل كأنهم ولدوا في كوكب آخر اسمه كوكب العمل ونزلوا على كوكبنا.

النظام التعليمي هنا يسلط الضوء على التربية القومية واحترام مبادئ الأمة الصينية، يتعلم الصيني منذ نعومة أظافره حب الصين والفخر بها. فالصين حققت في أربعة عقود ما لم تحققه أوروبا في مئة سنة، الصين تطور قدرات عسكرية وتعليمية وطبية وصدى الاقتصاد الصيني اكتسح العالم رغم الأحادية القطبية التي حكمت العالم.

الطفل الصيني هو القوة الناعمة المستقبلية، هو مشروع قائد تستثمر فيه حكومته، مدارس فخمة وطرقات معبدة ومنحًا تحفيزية لكل طالب مجتهد. هنا التعليم الابتدائي مجاني وإجباري على كل أسرة.

مهما قيل عن التعصب الأيديولوجي للصين ففي مجال التعليم أنا أظل أحترم هذه الأمة التي واجهت المجاعات والاضطرابات

والتي يخشى قادتها العودة إلى مربع الفقر والحاجة وبالتالي تراهم يقدمون الأكل للطلبة ويشجعونهم على العلم ليستمر الرخاء الصيني الذي قطع مع الفقر وحقق سيادته الغذائية وانتهى من المديونية للغرب منذ عقود وعول على نفسه وها هي الصين تزرع ذلك في الناشئة!

منذ فترة عملت الدولة الصينية على تخصيص جزء من الميزانية لتحسين أوضاع المدارس الابتدائية والثانوية في جميع أنحاء البلاد. خلافًا لمسألة إنشاء عدد من المباني المدرسية في كل حي وتوسيعها، فقد خصصت وزارة التربية مبلغًا خاصًا لتطوير ورعاية الفصول الدراسية المتهدمة في المدارس الابتدائية والثانوية في المناطق الريفية على غرار تونس حيث يقوم بعض رجال الأعمال والجمعيات الخيرية بترميم المدارس والعناية بها عوضًا عن الدولة.

في ظل "دنغ شياو بينغ" صاحب مشروع تطوير الصين الحديثة الذي قال في سنة ١٩٨٧ إن الصين تحتاج إلى نصف قرن لاستكمال عملية التحديث والسيطرة السياسية والاقتصادية. قام "دنغ شياو بينغ" بدعم العلوم والتكنولوجيا والموارد الفكرية وخاصة التعليم الشعبي من أجل تحديث البلاد. وفي عهده تم تحديث التعليم وخاصة في مجالات التقنيات الجديدة وعلوم المعلومات والإدارة؛ لأن اللجنة المركزية آنذاك كانت تعمل على الإصلاح الاقتصادي في البلاد ولذلك كانت تحتاج الحكومة إلى

قوة عاملة ماهرة لدعم عدد سكانها الكبير.

سنة ١٩٨٠ تغيرت أسس النظام المدرسي حيث تم وضع تطوير المواقف والمعرفة السياسية واستبدالها بمؤهلات لسوق العمل في المستقبل، من أجل ذلك هدفت سياسات التعليم الحالية إلى تعميم نظام التعليم الابتدائي والثانوي من أجل جعل القوى العاملة أكثر تأهيلًا. تتناقض هذه السياسة مع السياسة السابقة التي كانت تهدف إلى تعميم التعليم لأسباب تتعلق بالمساواة ومحاربة التعليم البرجوازي والأرستقراطي، من بين هذه السياسات، في عام ١٩٨٥، أصدرت الحكومة قانونا يجعل الحد الأدنى من التعليم لسن ٩ سنوات إلزاميًا.

هنا في الصين تبدأ الدراسة في الساعة ٧ صباحًا وتنتهي نحو الساعة ٨ مساء ويتخلل ذلك ساعات راحة للأطفال حيث ينعمون بالاهتمام قبل الدرس الأول في الصباح حيث يكون جميع الطلاب معًا، يحيون العلم ويهتفون بالحياة والمجد للأمة الصينية. وعند الساعة العاشرة تبدأ التدريبات الصباحية. الجميع يذهب إلى الملعب الرياضي، تراهم مصطفين الواحد تلو الآخر، الأولاد في المقدمة عادة. في معظم الأوقات تُجرى هذه التدريبات على أنغام الموسيقى الحماسية، تراهم يسيرون مثل الجنود مقسمين إلى جماعات: واحد اثنان، واحد اثنان. حتى إن هناك مسابقات خلال تمارين الصباح داخل كل مدرسة حيث إن المجموعة التي تؤدي الحركات بأكبر قدر من التزامن والتناسق هي التي تفوز.

في الاستراحة المسائية التي تكون بين الساعة الرابعة والخامسة يتم عادة الفصل بين الصبيان والبنات، حيث تتوجه البنات نحو الرقص الصيني والغناء ويتوجه الصبيان إلى فنون القتال وكرة القدم وكل ما يتعلق باللياقة البدنية. الرقص هنا أمر عظيم وليس فولكلورًا شعبيًّا مهمشًا كما في بلادنا،

هنا تصطف البنات بانتظام وبتركيز تام على الخطوات والجسد الممشوق والجانب الجمالي.

ترى الفتيات يقفن باهتمام وراء المعلمات الرشيقات اللواتي لا يتجاوز وزن كل واحدة منهن الخمسين كيلوجرامًا، فهن يشبهن الفراشات وكأنهن يحاولن الطيران ومعانقة السماء، كنت أقف منبهرة كل الصباح وأنا أسترق النظر لهن كلما أتيحت لي الفرصة، أنظر وأحدث نفسي هل يمكن لي الرقص مثلهن؟ ولماذا نحن لا نرقص في مدارسنا ولا نشارك أساتذتنا الرقص مثل هؤلاء الصينيات؟

مدارسنا كئيبة، شاحبة إذا ما قارنتها بهذه الجنان حيث ترقص البنات مثل الفراشات.

بكين 1 مارس 2018،

أجلس في مقهى ألف ليلة وليلة العربي، أفتح الكمبيوتر، أتفاجأ بأحدهم يكتب عن محور الخير الممانع المناصر لقضايا الأمة الصين وإيران وسوريا، كدت أنهار من الضحك، زج إسم الصين مع إيران وسوريا واعتبار الجمهورية الشعبية الصينية دولة مناصرة لقضايا العرب ومعادية لإسرائيل وللإمبريالية العالمية.

وددت لو كان لي الوافر من المال لأرسل تذاكر طيران وإقامة له، علّه يستفيق من وهم محور الخير والشر كما استفقت أنا، وضحكت على نفسي كثيرا يوم قرأت عن العلاقات الصينية الإسرائيلية هنا في بكين، ويوم أخبرني صديقي الصيني "كوبي" عن سعادته بزيارة ناتنياهو للصين لأنه قال: إن الصينيين من أسباط اليهود.

تعد الصين ثالث أكبر شريك تجاري لإسرائيل، حيث يفوق حجم التبادل التجاري بينهما أكثر 15 من بليون دولار سنة 2013، وازداد حجم التعاون عقب زيارة بنيامين ناتانياهو للصين العام الماضي، الزيارة التي مثلت تتويجا لسنوات من التعاون والتخطيط لتفعيل العمل المشترك بين الحكومتين، الذي شمل مجالات عدة كالتعليم

والتكنولوجيا والثقافة والسياسة والسياحة أيضا.

يقسم الخبراء تاريخ العلاقة بين الصين وإسرائيل إلى أربع مراحل متتالية، لكل مرحلة فيها مميزاتها وسلبياتها. المرحلة الأولى هي من 1949 إلى عام 1950 وهي الفترة التي بدأ خلالها الطرفين صداقة تقوم على الدعم المتبادل وتحديد معالم الشخصيتين. المرحلة الثانية من 1950 إلى 1977 التي تسمى بمرحلة الاختلافات السياسية حيث كانت الصين تحيا فترة الانغلاق السياسي، حيث فشلت الصين في العديد من الإصلاحات ولا سيما في مواجهة الفقر في البلاد.

المرحلة الثالثة من عام 1978 إلى عام 1991 التي عرفت بسياسة الانفتاح الصينية وازدهار الصناعة في مجال المعدات الحربية. وأخيرا، بداية من عام 1992، شهدت الدولتين عهدا جديد من العلاقات الدبلوماسية حيث تطورت أشكال ومجالات التعاون والتبادل بين الحكومتين.

"الصينون واليهود من أعظم الشعوب هذا العالم" لي كيبيان رئيس الوزراء الصيني، لبنيامين نتانياهو أثناء زيارته لبيكين في ماي 2017.

في 1992 عرف العلاقات الصينية الإسرائيلية منعطفا جديدا، ويعود ذلك للتحول الجذري الذي شهدته جمهورية الصين الشعبية، حين قررت حكومة جيان تسه ميانغ اتخاذ سياسة

الانفتاح الاقتصادي، فلقد تحولت الصين إلى قوة عظمى اقتصادية عالمية بعد إصلاحاتها الاقتصادية، وازدهار قطاعات التكنولوجيا في إسرائيل. حيث أصبح كل من البلدين ينعم بازدهار في قطاع المال والأعمال. كما شهدت الشراكات بين رجال الأعمال الصينيين والإسرائيليين ارتفاعا قياسيا منذ ذلك الحين، حيث ازداد حجم التجارة حوالى 200 مرة منذ عام 1992 إذ أصبح يتواجد أكثر من 1000 شركة اسرائيلية في الصين.

وبما أن، وربما أن إسرائيل تعتبر الرائدة عالميا في مجال التكنولوجيا والعلوم المبتكرة، فإن السوق الصينية الضخمة تسعى بنشاط إلى تعميق صلاتها مع هذه القطاعات، كمرحلة جديدة من نموها الاقتصادي الذي أصبح يسعى إلى تحسين جودة إنتاجه.

ويتجلى هذا التعاون في الحفاوة التي لقيها بنيامين ناتانياهو في زيارته للصين السنة الماضية، حيث استقبله رئيس الوزراء الصيني في إطار لقاء لدعم أواصر الأخوة والصداقة بين الشعبين، حيث أعلن الطرفان عن مشروع خط جوي بين شانغاي وتل ابيب، علاوة على إطلاق سياسة تسهيلات لرجال الأعمال الصينيين في إسرائيل، وكذلك رجال الأعمال الإسرائيليين في الصين، وعرف اللقاء عبارات إشادة بتعاون الصين مع إسرائيل في المجال الاقتصادي والثقافي أيضا، كما قال السيد "لي كيبيان" :"ان الصينين واليهود من أعظم شعوب هذا العالم".

4 مارس 2018

انتهت عطلة الربيع الصينية، واختفت من أمامي الفوانيس الحمراء التي تزين المدينة، وملصقات التخفيضات التي كانت على واجهات المحلات، بالإضافة إلى عروض الفنادق والسياحة وعادت الحياة إلى المجمع السكني، تعود الحياة هنا تدريجيا مع قدوم الحافلات التي تقل الطلبة الصينيين، وتوصلهم إلى مسكنهم الذي يبعد أمتارا عن سكن الطلبة الأجانب.

عطلة الربيع هنا طويلة المدى وثقيلة الروح، مع الثلج الذي يجعل من تحركاتنا صعبة والبرد المضني للقلوب، ووجوه الصينيين العابسة ولا سيما موظفي مكتب الاستقبال من يراقبون التحركات داخل السكن، ويسألونك إلى أين أنت ذاهب؟ وماذا فعلت؟ وكيف تقضي الوقت؟ بالإضافة لهذا السؤال الموجه لي أنا شخصيا: لماذا ليس لديك صديق صيني؟

في البداية كنت أرد بأنني لا أجيد اللغة، وبعد فترة أخبرت إحدى الموظفات بأنني كما الصينيين لا أعاشر الأجانب! السيدة "فاي" علقت بأنني ذكية جدا وقد تكهنت بأنني من برج النمر الصيني، وعلي أن أقلل من وزني لأرتدي فتسانا ورديا مثل الصينيات

وأصادِق رجلا صينيا، أخبرتها حينها بأن رمضان على الأبواب، وسأكون مشغولة بالعيد الديني ولن يكون لي وقت للقاءات مع الصينيين.

أردت أن أكيدها بحديثي، الجميع يعلم أني لست ملتزمة دينيا، ولا ألبس الحجاب، ولا أناقش في تاريخ الفتوحات الإسلامية، بل حتى فكرة الأكل في المطاعم الصينية المسلمة لا تروق لي كثيرا، لا فرق عندي بين مسلم وبوذي كلهم صينيون بالنسبة إلي، أفضل المطاعم الهندية والإيرانية والتركية، أرى فيها البعض من روح تونس الحبيبة.

ماذا يعني أن تكون مسلما في بلاد الصين؟

هل ستقول لا لتهويد القدس وترفع شعار "قبلة المسلمين في خطر"؟

أم ستطلب من رئيسك الإذن لأداء "صلاة الجمعة عند الساعة الواحدة"؟

لا أحد يسأل شيئا من أهل الصين، كلنا تحت النظام وبأمره نحيا ولاسيما نحن الطلبة، وخاصة النساء تجد أبواب غرفتك مفتوحة للمراقبة، وتشعر بأن حياتك تحت أنظارهم. من أجل ذلك تتدخل السيدة "فاي" في وزني وتقترح أن أجري حمية لأعاشر صينيا.

7 مارس 2018

نهضت متثاقلة من فراشي، كان الجو خانقا في الخارج يغيم الرماد كل المركب الجامعي، انه التلوث!

وتعد تيانجين من أكثر مدن الصين كثافة وتلوثا.

ارتديت حذائي الرياضي، وضعت "كريم" على وجهي الذي قلت نعومته بسبب تغير المناخ هنا وارتفاع نسبة تلوث الهواء.. أعددت قهوتي وضعت كتاب الذكاء الصناعي وتوجهت وحيدة نحو قاعة الدرس.

من الصعب أن أجد لي صديقا أو صديقة في مكان كهذا!

الصداقة هنا تقام على أساس البلد والإقليم والقارة، ولكن فكري الوحدوي الإفريقي لم يشفع لي بصديقة افريقية تخير البنات السوداوات.. هنا يجلسون وها أنا أقضم البعض من النكات والمرح علني أحظى بصديقة.

لكن الأمر ليس سهلا كما يبدو!

جويس وبياتريس يفضلان قضاء الوقت مع بعضهن.

أما بركوتا الاثيوبية ورغم الكلمات الامهرية التي أقولها أمامها،

إلا أنها ترفض دعوتي على العشاء لأنني مسلمة وهي أرثوذكسية، ووفق تعاليم كنيسة الحبشة فان الأكل مع المسلمين حرام.

ولكنني رأيتها تشارك الأستاذة الصينية الأكل؟ وتخبرها بأنها تحب الأكلات الصينية كثيرا!

يذكرني موقف بركوتا بمعينتي المنزلية بأثيوبيا، التي كانت ترفض مشاركتي الأكل ولكنها تسرق من معداتي المنزلية وتأخذ مني الملابس التي لا أرتديها.

بصراحة لم أعلق على هذه السلوكيات، لأنها تذكرني بشعبي من يلعن الغرب ويموت في قوارب الموت على ضفاف شمال المتوسط.

8 مارس 2018

اليوم العالمي للنفاق!

كل ٨ مارس يستفيق أهل الحداثة من سباتهم لينشروا على صفحات الفيسبوك: نساء بلادي نساء ونصف، وأحيي كل امرأة كادحة وكل امرأة مثقفة وعاملة إلى آخره من العبارات الجميلة الوردية التي تليها ردود من النساء بالشكر والامتنان!

هذا اليوم يتفق حوله اليمين واليسار والوسط كما يتفقون على المطالبة بحقوقنا، في هذا اليوم تتحول تونس وردية حيث تتعالى الهتافات من أجل النساء دون الحديث عن لب القضية؟ ما الذي تعاني منه المرأة التونسية والعربية؟

في مثل هذا اليوم من كل سنة يتحول المتحرش والنذل وسقط المتاع إلى مدافع عن القضية.

٨ مارس يوم تبرئة الذمم لدى البعض من رجال وطني، من يشتم النساء طوال السنة وينعت الرفاق بأمهاتهم يتحول اليوم إلى سيمون دي بوفوار أو بشيرة بن مراد أو نوال السعداوي.

أنا شخصيًّا لي العديد من المشاكل ليس لأنني امرأة بل لأنني أكتب وأتحدث، قبل سنوات كان لي أصدقاء وصديقات في الوسط

الأدبي التونسي الذي هو وسط رجالي بالأساس فيه البعض من النساء الخافت صوتهن. لكن بعد ٢٠١٧ وخاصة بعد صدور كتابي "عاشقة من إفريقية" وبعد أن بدأت أنشر في المجلات الأدبية تحول الوسط الأدبي إلى ساحة معركة، حظيتُ فيها بكل الانتقادات على غرار: أنا باحثة في الذكاء الصناعي فكيف لي النشر باللغة العربية؟

وكتابي قام على تجربتي في إفريقيا وكيف سافرت لإثيوبيا ولم يكن أدبيًّا للحد الكافي. ثم قيل بأنني أكثر شهرة من النصوص التي أنشرها. الجماعة التي انتقدتني هي نفسها التي تكتب اليوم منشورات تدعو فيها النساء للكتابة ومعانقة الرواية!

الوسط الرجالي في تونس يفضل أن يتحدث هو عن النساء ولا يترك المجال للكاتبات للحديث عن أنفسهن. بل من شدة التناقض أن من شكك في قدراتي الأدبية لم يدرس اللغة العربية ولديه أخطاء لغوية وتراكيب لا يصح استعمالها ولكن لا أحد ينتقده أو يسأله هل لديك مؤهلات أكاديمية لتكتب؟ لا أحد يسأل الكتاب الرجال في وطني! السؤال فقط للنساء!

كلما طرحت قضايا النسوية في كتاباتي يقال لي: "أنت تُقحمين أفكارك الأيديولوجية في قصصك" أما حين يكتب العميد شكري المبخوت ذلك أو الصحفي ناجي الخشناوي يصفق لهم الجميع، يخال إليك صوت الهتافات من وراء جهاز الكمبيوتر:

"سلمت يداك، أبدعت، دام ألقك"! يرفق التعليق مقولة لأحد مبدعي اليسار الفرنسي، علمًا أن شكري المبخوت اختار تهميش زينة في رواية الطلياني وجعل دورها هامشيًّا بل اختار لها أن تسافر إلى فرنسا مع رجل عجوز وترتبط به وتغادر الحياة السياسية التونسية رغم جمالها وفطنتها. أليس في وصف العميد شكري لزينة بتلك الطريقة انتهاكًا لكرامة المرأة المثقفة المناضلة وتقليلًا من قيمة النساء اليساريات؟

أنا أعتبره تقليلًا وضربًا من الذكورية التي لا تغيب عن نصوص كتاب تونس المصنفين حداثيين ومناصرين للنساء ولهم الحق وحدهم في الحديث عن المرأة كما يشاؤون وليس كما أشاء أنا!

ماذا تريد سيدة مثلي في هذا العيد؟

أريدهم أن يخرسوا قليلًا ويتركونا بسلام.

كتبت على سحابة "تسقط الرقابة" فصادروا السماء

أحمد مطر

22 مارس 2018

مضى يومان على ذكرى الاستقلال التونسي وعيد الشباب بوطني. أعياد لا تعني لي شيئًا. ماذا يعني أن نحتفل بعيد الشباب وأنا لولا الصين الشعبية ومنحتها لما كنت لأدرس في مثل هذه الظروف المريحة، منحة للكتب والأكل والمصروف اليومي والحديقة والمكتبة ولغرفة واسعة في سكن جامعي فخم فيها حمام واسع وصالون ومكتب وسرير وتكييف وتأمين صحي.

منحة وإقامة تجعل أصدقائي في الوطن يغبطونني لهذه الفرصة الذهبية. هم أصدقائي من يقولون: مبروك لكل مغترب!

نحن شباب البلاد من نؤمن بأن الهجرة من البلاد حظ وحلم ذهبي مهما كانت الوجهة! مكتبة .. سُر مَن قرأ

عيد الشباب برئيس تجاوز عمره الثمانين وهو يظن نفسه خليفة الزعيم بورقيبة وكأننا في فترة ما بعد الاستعمار!

رئيس قامت حملته الانتخابية على أمجاد الماضي والوفاء لبورقيبة والتخويف من الإسلام السياسي بينما هنا في الصين يتحدث الحزب الشيوعي عن السيادة الرقمية وحرب التكنولوجيا وحق الصين في صناعة الذكاء الصناعي الخاص بها دون العودة

لإملاءات أمريكا.

الفرق بيننا وبينهم حاليًا يتلخص في ما قاله أبو القاسم الشابي: إرادة الحياة!

هنا شعب يريد وقيادة تخطط وتهدي المجد لشعبها وهناك عند جنوب المتوسط دول تؤمن بالشعوذة وحكم المشايخ وصراعات استنزاف أيديولوجي تحت شعار "الإسلام في خطر"! و"الحداثة في خطر"! "تحيا المرأة التونسية"!

ولا سياسي فيهم تحدث يومًا عن المعطى الاقتصادي ومصالح الشباب وأهداف التنمية.

يقول "سان تزو" فيلسوف الحرب الصيني: "من لا أهداف له ليس من المرجح أن ينتصر" ويقول أيضًا: "إذا كان الجنرال كريمًا لكنه غير قادر على القيادة، وخيرًا لكنه غير قادر على استعادة النظام، فإن جنوده، مثل الأطفال المدللين، سيكونون بلا فائدة".

هل نحن بغير فائدة لأننا مدللون؟

هل تنطبق كلمات هذا الفيلسوف على قادتنا؟

من يحكم تونس ليس خيرًا بل عجوز سلم الحكم لابنه وليس كريمًا لأن تكلفة الحياة باهظة ولا نحظى في تونس بأي كرم ولا سخاء من حكامنا. لكل من حكام تونس المتعاقبين بعد الزعيم بورقيبة عيوبه التي لا تحصى ولا تعد. بعد الزعيم بورقيبة كان

بن علي الذي ثُرنا ضده كشباب ورفعنا شعار: "قتالين أولادنا! يا سراق! خبز وماء وبن علي لا"!.

المنصف المرزوقي نعتناه بالطرطور وبلعبة النهضة وطابور خامس للإخوان، أما الباجي قايد السبسي، لم يف بالتزاماته ولن يفي بها على ما يبدو.

الفرق بيننا إرادة سياسية ومشروع وطني، شباب تونس المتألق في الصين وفي غيرها من البلدان حيث تتميز الكفاءات التونسية بالتزامها وذكائها وقدرتها على التخطيط والإبداع يؤكد أننا لسنا شعبًا كسولًا أو مدللًا؟

أنا أصحو باكرًا، لا أتأخر عن الدروس، أتحدث الصينية والفرنسية والإنجليزية ويشهد لي بتميزي في البحوث التي أقدمها في الجامعة لصالح مكتب الدراسات الإفريقية بالإضافة لمشاركتي في حصص الرقص والغناء والشعر. لا أرى أن الطلبة الصينيين متميزون عنا.

لا عيب فينا! بل نكاد نكون الأفضل بينهم.

يقول أبو القاسم الشابي:

وَرَفْرَفَ رُوحٌ غَرِيبُ الجَمَال بِأَجْنِحَةٍ مِنْ ضِيَاءِ الْقَمَر
وَرَنَّ نَشِيدُ الْحَيَاةِ الْمُقَدَس في هَيْكَلٍ حَالِمٍ قَدْ سُحِر
وَأَعْلَنَ في الْكَوْنِ أَنَّ الطُّمُوحَ لَهِيبُ الْحَيَاةِ وَرُوحُ الظَّفَر
إِذَا طَمَحَتْ لِلْحَيَاةِ النُفُوسُ فَلا بُدَّ أَنْ يَسْتَجِيبَ الْقَدَرْ

نحن فقط، ضحايا نظم سياسية فاشلة دون رؤية ودون مشروع وطني، الأمر الذي يفسر إقبال الشباب على الهجرة السرية والسفر إلى أوروبا عبر قوارب الموت غير الآمنة التي تشق البحر المتوسط نحو إيطاليا. ولو سألت أي شاب منهم: لماذا سافرت بتلك الطريقة وأنت مهدد بالموت في أي لحظة؛ لقال لك: هنا موت وبين أمواج البحر موت آخر، لا فرق!

نحن جيل القهر المنكوبون من سياسيين فشلة لا يفكرون إلا بأنفسهم، نحن لم نولد في دولة تفكر في مستقبلنا وتبني لنا مصانع للعمل وجامعات ومعاهد ومنحًا لبعث المشاريع ومطاعم للأكل وأغذية مدعمة وأسعارًا خاصة لنا كتونسيين في بلدنا كما للمواطن الصيني في بلده.

ماذا تعني دولة؟ وماذا تعني إدارة حكم؟ وماذا تعني عبارة وطن؟

تونس حاليًا لم تعد وطنًا، باتت رقعة جغرافية يحيا فيها من لديه المال والقدرة على شراء الخبز ودفع فواتير الكهرباء والدراسة وامتلاك سيارة وبيت يقيه لؤم شركات الإيجار والسماسرة.

30 مارس 2018

على الساعة العاشرة حسب توقيت بكين من صباح يوم الخميس هذا، فتحت صفحة الفيسبوك لأرصد أخبار البلاد والعباد، كنت أمسك بهاتفي الذكي، قلقة هلعة. فمنذ فترة لم تغادر الأخبار فلك التشويهات الأخلاقية للنساء والإرهاب ووابل النيران بين الأشقاء أو الألداء العرب. أتابع الأحداث بعين يملؤها الذهول أتوقف عند الذكرى السابعة للثورة السورية، وأمسح دمعة سالت لحال البرلمان التونسي وما يصدر عن نوابه من انحرافات. في خضم السواد المخيم على هذا العالم الأزرق أقرأ خبر انتحار الكاتب والمبدع نضال الغريبي، وهو شاب حالم وفي صدره حقول من الفنون وله شهادات علمية ويحظى بالكثير من القدرات، لكنه لا يجد عملا قارا يضمن له الحد الأدنى من مقومات العيش الكريم.

كان على نضال أن يموت شنقا بعد أن فشل في إيجاد فرصة عمل، أو مكانا يمكنه من تفريغ طاقاته، لم يكن نضال شابا مدللا أو متملقا بل كان يقول: "نحن لا نكتب من أجل المال بل نحن نرسم ما يخالجنا من مشاعر". ويضيف نحن ندون ما نحياه من مآس ومن فرح. لقد عشق نضال الكتابة كما عشق بلاده تونس، التي اختار أن يفارقها تاركا لعناته على وجه مدينة بات العيش

فيها حكرا على طائفة معينة. أولئك الذين يدرس أبناؤهم في أفخم المدارس، وترتدي نسائها أجمل الثياب، ويصلي شيوخها على الزرابي المزركشة.

هم أناس يختلفون عني وعن نضال. نحن من كُتب علينا أن نشد الرحال كل ظهيرة نحو المطعم الجامعي، لنأكل بأبخس الأسعار وبأدنى جودة، ثم نركض وراء إحدى حافلات النقل العمومي لنصل بيتنا ونحن منهكين من المواصلات ومن ظروف الدراسة. نحن من لا ننطق اللغة الفرنسية جيدا، ترانا ننطقها بلكنة يقال أنها "عروبية" ويقصد بذلك غير متحضرة وجبلية. فهي لكنة تفشي عن بطاقة هوية صاحبها وأصله، فتراها جبلية يحاول أصحاب الألسن الخشنة أمثالنا تطويعها، ولكنها تصدح مشوهة أو عروبية كما يقول شعب الله الفرنكوفوني بتونس.

لا أزال أذكر صوت صديقي حبيب القادم من قفصة، الذي يحاول صاحبه جعله خافتا كلما جلسنا في مقهى قبالة المعهد العالي للعلوم الإنسانية، وتعود الأسباب بأن هناك أمنيا أوقف حبيب للتثبت من أوراقه ومما يثبت أنه طالب مقيم في تونس العاصمة للدراسة، كنت أستمع لحديث صديقي وأطلق نكاتا عن الممارسات الجهوية لسكان العاصمة تجاه بقية التونسيين. ونضال مثل حبيب وغيرهم من الشباب من يسكنون مدنا تغيب فيها المستشفيات والمركبات الجامعية ودور الثقافة ذات المرفقات الأساسية. هي مدننا ترتفع فيها نسب التلوث الطبيعي

والتهميش ونسبة الجريمة والبطالة، وكأن أهلها مواطنين من الدرجة الثانية في مقابل عاصمة يتمركز فيها كل شيء.

أمام السواد الحالك وغياب مرافئ الحياة في تلك المدن، قرر نضال الرحيل نحو السماء كما قررت أنا ذات صيف، حين وقفت أمام ذلك البئر المتوسط بيت جدي القديم. أفكر في أن ألقي بنفسي في جوفه لأرتاح من أرق البطالة، ومن إرهاصات مجتمعنا الذكوري الذي تثقل قواعده كاهل شابة مثلي. اقتربت من الخشبة المحيطة من البِئر نظرت إلى الأسفل، كان المشهد موحشا خيل لي إن هناك ثعابين تنتظرني وسط تلك المياه لتنهش من لحمي وتقضم من ضلعي، وخيل لي أيضا بأن هذا العالم أوسع من بلادي. أدرت ظهري لتلك المياه الموحشة وسألت الله الرحيل دون عودة، ناجيت رب العالمين بأن يرحمني بهجرة من بلاد ظالم أهلها.

وها قد رحلت وأبحرت دون أي ندم. لأنني لو استمت في شعار بلادي وإن جارت علي عزيزة، لكان مصيري الغرق وسط ذلك البئر الموحش، تاركة ورائي شهادات ومقالات ومجموعة قصصية محفوظة في مكتبي لأني لم أجد لها ناشرا. لو بقيت في تونس لاخترت ذلك الحبل لأشده على عنقي عله يريحني مما أواجهه يوميا من عنف ومن قهر. لو قضيت سنة إضافية تحت سقف البطالة والفساد المتفشي في جميع المؤسسات، لاخترت لقاء ربي لأخبره بما فعل دعاة الحداثة ودعاة الدين ومن يحملون اسم الله بي وبنضال الغريبي. نحن من نحلم بالخبز وبالحد الأدنى الإنساني.

1 أفريل 2018

اللعنة تستوقفني كلمات نضال مرة أخرى:

أنا الآن لا شيء، تفصلني خطوة عن اللاشيء، أو فلنقل قفزة، غريب أمر الموت ما أبخس ثمنه، دينار ونصف الدينار ثمن الحبل، وبعض السجائر، غريب أمر الحقيقة ما أبخسها ثمنها لكننا لا نرى، نملأ أبصارنا وبصائرنا دومًا بالأوهام، حتى تصير الحقيقة تفاصيل لا نراها... نحن لا نرى غير ما نريد رؤيته، لا نرى من الأخضر غير يابسة حتّى تختلط علينا الألوان، ومفاهيمها، شأننا شأن أحبّتي، الذين رغم تواضعي يظنّون أنّني عيسى، فإذا ما صدّقوا ما ادّعوا، اختلط عليهم الأمر، فراحوا لا يفرقون بين القلب والمعصم، وصارت أوتادهم تنهال على صدري كسهام الوغى..

غريب أمرهم، بل غريب أمركم جميعًا إذ تظنُّون بموتي أنّني أناني، لكنني في الحقيقة أبعد ما يمكن عن الأنانية، دققوا في التفاصيل، لو كنت كما تدّعون لكنت التهمت ما استطعت من أدوية أمي المريضة ورحلت، لكنني أعلم على يقين أنّ عائلتي المسكينة ستنصرف إلى مراسم دفني وقبول التعازي، وسينسون بالتأكيد أن يشتروا لها دواء بدل الذي دفن في معدتي، لكنني

لم أفعل، لو كنت بالأنانية التي تدّعون، لكنت رميت بنفسي أمام سيارة على عجل، أو من فوق بناية عالية، لكن، حرصا مني أن لا تتلف أعضائي، التي أوصي بالتبرع بما صلح منها، لم أفعل...

سادتي، أحبّتي، عائلتي المضيّقة والموسّعة، أوصيكم بأنفسكم خيرا، وبأولادكم حبّا.. أحبّوهم لأنفسهم، لا تحبّوهم لتواصل أنفسكم فيهم، اختاروا لهم من الأسماء أعظمها وأرقاها، وكونوا شديدي الحرص في ذلك.. فالمرء سادتي رهين لاسمه، شأني، أمضيت عقودي الثلاثة بين نضال وضلالة وغربة.. علّموا أطفالكم أنّ الحبّ ليس بحرام، وأنّ الفنّ ليس بميوعة، لا تستثمروا من أجلهم، بل استثمروا فيهم، علموهم حب الموسيقى والكتب.

السّاعة الآن الرابعة بعد الظهر، من السابع والعشرون من مارس سبعة عشر وألفين، أفارقكم عن سن تناهز أسبوعين وأربعة أشهر واثنين وثلاثين سنة

أحبكم جميعا دون استثناء، وأخص بالذكر هيرا، تلك العشرينية إيناس، تلك البريئة التي شيطنتها الحياة وحبي

آسف من الجميع

انتهى.

اختتم نضال رسالته التي شاركها على حسابه بالفيس بوك،

باعتذار ولو التقيت به في عالم الأرواح لطلبت منه حذف اعتذاره.

وترك الرسالة كما هي لمن تتعذر أيها الشاعر المنسي؟

تونس لا تستحق اعتذارك، فكل من أبدع في هذا البلد إلا وكان مصيره الهلاك؟ ألم تتعظ من حنبعل؟

لقد قرر مهاجمة روما ولكن حاكم قرطاج تحالف مع الرومان ضده ورفض مده بالمعونة ومات القائد العظيم بسِم اختار هو أن يحتسيه كارهًا أن يذله الرومان.

ألم تتعظ يا صديقي من الطاهر الحداد محرر المرأة التونسية، من قام أهل العاصمة بضربه وتعنيفه وتهديده بالموت؟

تونس حبيبة غريبة الأطوار، تلاحق عشاقها وتكيد لهم وتلفظهم تاركة إياهم يحلمون بعطر الياسمين وحرارة باطنها.

هنيئا لك بالموت يا نضال. غادرت الحياة وسلم قلبك من الاغتراب بينهم، أما أنا فمن يداوي جراحاتي اليومية في سكن الوشايات هذا!

أو دعنا نقول إن النظام الصيني يقوم على الجوسسة والوشايات، يقال إنها من مخلفات الحرس الأحمر، الكل هنا يشي بالكل على كل فرد أن يراقب فردا آخر للضمان.

2 افريل 2018

وقفت أمامه وعلى لساني آلاف الشتائم والكلمات القبيحة لأقولها في وجهه وأنا أبتسم، هو من يستحق أن يُضرب بالأحذية على وجهه، في ذلك اليوم رأيته يسألني إلي أين أنا ذاهبة؟ كانت الساعة سابعة مساء وكنت حينها متوجهة إلى المركز التجاري للتنزه بين المحلات هناك.

اسمه ماكس ووظيفته الوشاية بالطلبة الأجانب هنا. هكذا الوشاية دون سبب ومن واجباته أن يدق على غرفنا الساعة العاشرة ليلا أو التاسعة ليرى ما إذا كان في غرفنا ضيوفا من خارج السكن أم لا، ليتابع إذا ما كان هناك مخدرات أو خمور عددها فوق العدد المسموح به، أو إذا كان هناك من يقيم الصلاة أو يدير اجتماعات ذات طابع ديني أو سياسي.

لا تختلف تقاسيم وجه ماكس عن باقي الصينيين هنا. لا تفهمه إن كان غاضبا أو سعيدا ليس له أي واجب إنساني سوى أنه يقدم التقارير لمكتب الإدارة المكلف بالطلبة الأجانب، ذلك المكتب الذي يسهر على جعلنا نلتزم بالقوانين لا أكثر، قانون الجامعة الذي يمكن لأحد من الطلبة أن ينتحر بسببه لأنه لم يجد أحدا

يستمع إلى مشاكله أو إلى همومه.

القوانين هنا صارمة، يقفل باب السكن على الساعة الحادية عشر وإذا ما أتيت متأخرا فعليك كتابة اسمك في ورقة وتسجيل ذلك، لان عودة الفرد متأخرا عدة مرات ستحرمه من المنحة السنة القادمة. أنا كنت أعود متأخرة وكنت أقفز من الشباك الخلفي لغرفة طالب من غينيا الاستوائية، أو أقضي الليلة مع الشابات الغينيات وجنوب افريقيا كلما أردنا السهر خارج السكن.

3 افريل 2018

يُخيل إليك أنك مكتمل، حتى تعثر على الروح التي تكمل روحك وتُدرك كم كنت ناقصا، مولانا جلال الدين الرومي.

أين تسكن تلك الأرواح التي بها نحن؟ تراءت لي كلمات مولانا جلال الدين الرومي، وأنا أزور معرضا للتحف الصينية التاريخية هنا بتيانجين.

متاحف تيانجين فخمة وضخمة وأنيقة تعج بالزخارف والأواني والصور والقطع الأثرية من قديم الأزمان، أحببت جدا المتحف كثيرا وزاد شغفي حين قرأت هذه الأسطر "أن الحضارة الصينية عريقة وضاربة في القدم مثل حضارة بابل والحضارة الفرعونية".

ضحكت والتقطت صورة نشرتها في مجموعة الطلبة الأجانب بالجامعة وقلت: "يتحدثون عن حضارتنا في متاحف الصين" ولكن فرحتي لم تدم، لقد علق توقير خان الباكستاني بأنني تونسية ولا علاقة لي بمجد الفراعنة وببابل.

شعرت بالغليان بداخلي وتوقف بإحدى أركان المتحف قبالة مشط لأحدى ملكات الصين القدامى. لأجيب توقير بأن مصر

والعراق جزء من تونس، وبدأت أتحدث عن إقامة علي البلهوان في مصر وكيف دعمت العراق استقلال تونس في جلسات بالأمم المتحدة، وكيف كانت القاهرة بيتا لعبد العزيز الثعالبي وصالح بن يوسف، كتبت وكان رده: من هؤلاء؟

نصحته بأن يتعلم العربية ومن ثم يجيبني!

شعرت بلؤم يتطاير من عيني وأنا أكتب بتلك الطريقة، لكنني كنت مصرة بأن بابل والقاهرة شقيقتا قرطاج ولاسيما في بلاد الصين البعيدة، كل إشاره لهما هي مجد لي، أنا الغريبة هنا والتي أسعد بذكرهما وسط هذه اللوحات الفاتنة.

كل شيء فاتن هنا! رغم سيطرة توجه الحزب الشيوعي على كل التفاصيل البسيطة للثقافة الصينية، من حجارة الشيم العريقة إلى صورة المعلم ماو تسي تونغ المعلقة فوق علم جمهورية الصين الشعبية في قسم تاريخ الصين الحديث.

لا توجد هنا إشارات كثيرة حول أجنحة الحزب الشيوعي، وحول زوجة ماو تسي تونغ عازفة البيانو الفاتنة جيانغ كينغ، التي مارست العديد من الضغوطات على الفنانات الصينيات حتى أنه كان يروى أن أي خلاف معها كان يعتبر صراعا مع الأمة الصينية، الشيوعية هنا لم تغير في تقاليد الحكم بالصين، وحدها الجماعات المتنفذة هي التي ترغد بنعيم العيش والبقية لهم النسيان. ولكن المفارقة أن جيان نفسها لاقت مصيرا سيئا وميتة

شنيعة، إذ تعرضت للسجن والسحل والموت وحيدة منتحرة في سجنها ببكين.

الدماء والانقلابات تسكن تاريخ الحكم بالصين رغم هذا الجمال والألوان، كما تسكن أشباح الموت العراق، وكما يحوم الموت حول طرابلس والدموع أمام عيني. اللعنة لم أبكي؟ لقد انتصرت على توقير خان! وأمامي متحف عظيم وفي يدي كاميرا اقتنيتها بعد نظام تقشف دام عدة أشهر؟

عله البحث عن تلك الروح التي أشتهي أن تسكنني، لأضع عطرا مشرقيا وأمسك يديها وأنا أتنزه في نهر تيانجين مع نسائم هذا الربيع الدافئ.

15 ماي 2018

الساعة التاسعة صباحا كنت في حصة ووتجي فونع ، أستاذي الذي أحب الذي يدرسنا مادة الذكاء الاصطناعي، وأتفاجأ برسالة من مكتب الطلبة الأجانب يعلمونني انهم قرروا إيقاف منحتي الجامعية لأنني لم أجتز امتحان "التحليل الرياضي". استأذنت في الخروج من أستاذي وتوجهت لمكتب الطلبة الأجانب لأستفسر عن الامر.

كان الامر شديد الصعوبة معهم، لقد رفضوا حتى الحوار معي قائلين: القرار واضح، عليك بالدفع قبل انتهاء شهر جوان القادم والا فأنك لن تتمكني من البقاء هنا.

بكيت كثيرا شعرت بالضيم، نتائجي كانت جيدة في السداسي الثاني، ولكن لم أجتز مادة واحدة فقط في السداسي الأول، اتصلت بجمعية الطلبة الافارقة بتيانجين ولم اجد أي سند منهم. والسبب كان جليا.. فنحن التونسيون حسب روايتهم لا نعتبر انفسنا أفارقة مثلهم ولا ندعمهم في تحركاتهم.

16 ماي 2018

بعد ان فشلت كل محاولاتي في اقناع إدارة الجامعة بفرصة أخرى، ورغم تقديمي لملفي الطبي الذي فيه أنني كنت أعاني من الصداع الشديد جراء البرد تلك الفترة، وأني يوم الامتحان لم أستطع استكمال الكتابة لأن آلامي كانت لا تطاق، لم يتفهم استاذي الامر، أو دعني أقول كانت الأمور فوق ارادتهم فهو يطبق فقط قرارات الإدارة.

حملت امتعتي وتوجهت الى بكين بعد أن راسلت السفارة التونسية هناك.

استقبلني القنصل التونسي أسامة بكل حب وود وتفهم وتحدث معي عن صعوبة الحياة الطلابية بالصين، ونصحني بان اضع ثقتي في السفارة التي ستتدخل لتحل الأمر لصالحي.

حاول أسامة تهدئتي، دعاني لشرب القهوة، طلب مني الهدوء ولكني استمت في البكاء، قال لي: لست وحدك.. هنا تونس.. هنا نحن!

بكيت حينها كثيرا، وشعرت بالأسى لأن الجميع تخلى عني، إلا التونسيون الذين طلبت مساعدتهم، كلهم وقفوا الى جانبي كنت

غاضبة من ردة فعل زملائي النشطاء الأفارقة، من أداروا ظهرهم بتعلة أن التونسيين لا يحبون افريقيا، وكنت محبطة من ردة فعل زميلي اليمني الذي لم يكلف نفسه عناء الاتصال بي، وأنا أعلم أنه لا يعتبرني عربية كما المصريين وغيرهم.

كنت مرفوضة من جميع التجمعات ومحظوظة بسفارة تونس.

رغم كل ما يقال هنا عن السفارات العربية، وعدم استجابتهم لمشاكل الطلبة، إلا أنني وجدت دعما وحضنا وسندا، بل شعرت بالخجل لأنهم أصدقوني القول ولم يكذب احد من المسؤولين روايتي.

قرطاج يا عزتنا، تمرضين يتكالب عليها الجياع ولكنك تحافظين على تقاليدك!

أنت يا خضراء تنتصرين لنسائك عند كل وجع! تنتصرين لأني مرفوضة من الجميع، لا الأفارقة يروننني افريقية ولا العرب رأوا فيا عروبة!

20 ماي 2018

تتصل بي "تزاي فيجي" عميدة الجامعة طالبة مني القدوم لمكتبها، توجهت إليها وأنا لازلت واجمة بخبر إيقاف المنحة الجامعية. ابتسمت لي وقالت بكل دهشة أن قنصل السفارة التونسية اتصل بها، وطلب منها إعادة النظر في ملفي مؤكدا على استيائه من عدم تفهم حالتي الصحية فترة الامتحان، ولاسيما انني فشلت في مادة واحدة وهذا لا يعني إيقاف المنحة وإضاعة سنة دراسية كاملة.

لم اتمالك نفسي من الضحك حينها، وسألتها هل فعلا اتصل بك؟

ضحكت هي الأخرى، وقدمت لي رسالة ممضاة باسم سفير تونس ضياء خالد فيها تزكية لي وطلب لإعادة النظر في ملفي.

انهمرت دموع الفرحة، ليس لأن الجامعة ستعيد النظر في قرارها بحكم العلاقات الصينية التونسية، ولكن لأن قرطاج من خلال سفيرها انتصرت لي ولم تتركني وحيدة.

حينها تقرر إعادة النظر في ملفي، وتقرر اجتماع مع إدارة الطلبة الأجانب ومكتب رئيس الجامعة لمراسلة السفارة التونسية

والتشاور في أمري، هكذا أخبرتِ الأستاذ وانغ الذي أجبته بابتسامة منتصرة، نعم أنا! من يتدخل سفير دولتي للنظر في تكاليف دراستي الجامعية هنا!

هذا هو وطن الحرية يا أستاذ وانغ، حيث يمكنك أن تكون معارضا من أصول جبلية أمازيغية، لا يروق لك النظام، تكتب ما تشاء عنه، وحين تنكسر في أقصى الشرق تجد بلدك هي عونك وتكفكف عنك دموعك ويقول مسؤوليها: شدي الجراح وانتصري لست وحدك في بلاد الصين البعيدة.

5 جوان 2018

الزواج من الصينيات كالقبض علي الجمار، لا افهم لماذا يتزوج العربي بصينية وثم تغرورق عيناه كلما يرى شابة عربية أو كهلة أو أي امرأة من بلادنا تجلس أمامه أو تتحدث اليه. المتزوجون من الصينيات يشعرونك في البداية أنهم سفراء لدى الخارجية الصينية، يتباهون بإتقانهم للغة الصينية وبأن لهم أعمال بين بلادنا والصينين، تصغي لهم بإمعان وقد تنبهر في البداية، وينتابك نوع من الغيرة لأنهم لا يتأخرون في ذكر مناقب الصينيات أمامك، والتي تدور حول: البزنس وإدارة العمل وقوة الشخصية وفن التحكم واحترام الثقافة الصينية والبحث عن المال والبشرة البيضاء والشعر الاملس والعيون السوداء والغيرة.

تستمع لهم، وكلما دققت النظر والحديث تكتشف أن هؤلاء في ورطة ثقافية لا يحسدون عليها، فالصينين لا يتأقلمون مع الآخرين، بل يفضلون العيش في فصل تام بين عالمنا نحن الأجانب وعالم الصينين، والانخراط في مجموعاتهم يستوجب برمجة العقل على النظم الصينية في الاكل والحديث والجنس والحب والصداقة وجمع المال.

أما الصينيات فهن محركات هذه الامة المترامية الأطراف، الباحثة عن الأخذ بزمام الأمور بهذا العالم، والزوجة الصينية لها من القوانين التي تجعلها سيدة الاسرة وحاكمتها اذا ما تزوجت أجنبي.

اذ لا يمنح القانون الصيني الإقامة للزوج بتلك السهولة، وفي حال ما تمكن من الوثيقة فأنه سيكون بمثابة ملحق أسري يمنع عليه العمل، وإذا ما تحصل على وظيفة فإقامته تكون عن طريق العمل لا من خلال زوجته، بالتالي في حال ما طلق أو اختلف معها أو هي قدمت بشكوى ضده فإنه سيواجه السجن أو الرحيل.

كلما تطرق أصدقائي لهذا الموضوع إلا وكثرت النكات عن فلان وعلان المتزوجون بالصينيات، فتراهم يطلقون عليهم اسم "الروبو" الرجل الآلي، لأن زوجاتهم يتحكمن بهم بجهاز التحكم الآلي: لا تذهب، لا تعود إلا في الوقت المحدد، ويقال أنهم المسؤولين على تربية أطفالهم والعناية بهم، بالإضافة الى أن حساباتهم البنكية تحت أعين زوجاتهم.

حكايات لا يمكن للعقل تصديقها، كيف لرجل عربي ترعرع على قيم الرجولة والفتوة والحكم ومبادئ سي السيد، أن يتحول الى رجل آلي أمام عروس صينية تبدو كزهرة اللوتس؟

ولكن في حقيقة الأمر أن زهور اللوتس تلك، ماهرات في فنون غسيل الدماغ ولاسيما في رسم حلم الثروة، وكل صينية التقيتها

في الجامعة وإلا وكان لها مشروع تريد تحقيقه في الصين أو خارجه، هن قوة عاملة وهن على علم أن تحريرهن من الأبوية الذكورية والسماح لهن بالدراسة والعمل والانخراط في الحياة إلا بنية المساهمة في جمع المال وتجميع الثروات.

الصينيات رغم كل هذا التطور لا يزال هاجس الزواج يؤرقهن، وانا لا زلت اذكر كيف سخرت مني استاذتي حين عرفت ان سني اثنين وثلاثين سنة وليس لي زوج وليس لي حبيب. شعرت بالحرج حينها واستغربت كيف لأستاذة مختصة في الرياضيات وعلوم الكمبيوتر تشعر بالآسي لأني جميلة وعزباء! وأنا من ناحيتي شعرت بالحزن لأنها تؤرق نفسها بالبحث عن عريس وأحلامنا أكبر من فستان ابيض.

زهرات اللوتس غريبات الأطوار، يمكن لأحداهن الاقبال على الانتحار اذا ما قرر حبيبها الانفصال عنها، ويمكن أيضا ان تتحول الى عانس في حال ما لم تجد زوجا قبل الثلاثين، هاجس الزواج أمر مريع عندهن، هي مستعدة لتقديم كل شيء في سبيل أن تتزوج وتنجب طفلا، تتركه لأمها لتهتم به وتستمر هي في عملها ودراستها.

الصينيات اللواتي تزوجن بأجانب غير أوروبيين وأمريكان تشعرك بأنها قامت بعمل إنساني وثوري، فالصينيات يحملن في قلوبهن انبهار للرجل الأبيض، كنت في البداية استغرب الأمر لأنني قرأت الكثير عن الأدب الشيوعي الصيني، فكنت اتعامل مع

الصينين على أساس انهم أبناء وأحفاد ماو تسي دونغ.

وبذلك كنت شديدة الظلم في أحكامي، فالصينية مثلنا تسعد لو غازلها أوروبي وطلب منها رقص وقد تدير ظهرها لو شاهدت شابا من دولة آسيوية يعاكسها!

الطالبات العرب والتونسيات بالأساس كن يتحدثن الفرنسية في المقاهي والديسكوهات التي فيها شباب عربي، طريقة ذكية لفك الارتباط مع العرب، اذكر صديقتي التي رأتني استلطف شابا سعوديا كان يجلس الي جانبي يلاعب آخرا الشطرنج، فهمست في أذني قائلة: لسن هنا للحديث مع شباب العرب!

20 جوان 2018

اتألم لمرض لينا بن مهني، لم تكن صديقتي بل كانت رفيقتي وكانت ملهمة لأجيال عديدة من النسويات، كانت لينا تكبرني سنا وكلما حادثتها شعرت بأنها مستقبلي، هي أنا وأنا هي وهي تونس التي عشقت.

عانت لينا من المرض وعانت من قلة المعروف وذاكرة السمك التي تثقل كاهل ذاك الوطن.

كيف تنسى لينا؟

و كيف تصبح الأيقونة مجرد صورة أو طابع بريدي لأحداث غيرت من مجرى التاريخ وهي ثورة البلاد التونسية 14 جانفي؟

نعم أصبحت لينا مجرد ذكرى لدى الجميع، بل هناك من يحملها نتائج الفشل السياسي الذي تمر به البلاد والصقوا بها كل التهم.

حتى عند المرض وهي تعانى من داء ضعف الكلى وغياب الادوية والذكورية المقيتة، لازال العديد يهاجمها ويهاجمها أيضا.

يحاربون لينا دون استحياء وهي العاطلة عن العمل ولا تحيا الا ببعض العمل الذي يأتيها أونلاين!

اللعنة!

حدثتها منذ قليل وأخبرتني انها تقتسم مالها مع قططها، لتطعمهم وأخبرتني عن حبيبها النذل الذي رغم ما قدمت له لايزال ناكرا للجميل، استمع لها وأنصت جيدا وأحاول ان أروي لها بعض النكات فتبتسم واشعر وكأنني حادثت وطني من خلالها.

لينا الوطن الذي أحب..

جويلية 2018

صباح الخير يا لينا،

كيف كانت ليلتك؟ وكيف انهزمت حرارة الجسد أمام ارادة الحياة؟

أخبريني عن حمزة وعن مسلم وعنهم كلهم؟

أخبريني عن الحياة حين تبقينها على قيد الحلم؟

أخبريني عنهم وعن نذالتهم وكيف ظنوا أن الموت يمكن له هزمك؟

أنا رقصت يوم أمس على دسباسيتوا وصفق لي الجميع، وغنيت لعمرو دياب وكنت نجمة السهرة والجميع يسال عن جنسيتي من أين آتي وكيف لي ان أرقص بجسد ليس اسمر وليس اشقر، أظن انهم اتفقوا على انني من جنوب القارة السمراء أو من جنوب اوروبا، بصراحة لم اعد اهتم!

ما يهمني هو قدرتي على الرقص واقبالي على فعل الفتنة!

نعم هكذا بشعر أشعث ودون اي مكياج نستطيع أن نصنع

الفرح..

صباح الخير يا لينا،

ها انا أصحو متأخرة لأتابع بعض الإيميلات ولابدأ في عطلتي، أحتاج الى الكثير من الرقص والكثير من الجنون والعمل والكتابة.

وأحتاج اليك..

أيقونة تهزم الأنذال وينكسر أمامها شوكة المرض.

أنا لا أنتظر أي أحد.. بل أحاول أن أصنع الحياة..

صنعت حبا وسط مربع الوحدة وطلبت من قلبي التوقف عن الغباء..

رفقا بي أيتها الشرايين! لم أعد أحتمل أي نكسات أخرى...

رفقا بي أيتها الشرايين! فلا رجل وأحلام وردية ولا قبلات عند محطة القطار ببكين ولا بمحطة قطار الضاحية..

رفقا بنا أيتها الدماء، تعلمي ان تضخي حياة من أجلنا..

مللنا الحب ومللنا الانتظار

صباحك حياة لينا الوطن

13 جويلية 2018

تراسلني لينا وتقول:

عزيزتي مها،

لن أنتظر الصباح لأكتب لك، سأكتب لك الآن ولكن لن يكون حديثي عن سهرة ضاجّة ورقص، وكم كان بودّي أن يكون كذلك.

أتوق الآن الى لحظة نشوة يبعثها في جسدي طعم النبيذ الفرنسي، أو دعيني أقول أتوق الى كروم مرناق وبالتحديد الى نبيذ المانيفيك الاحمر الذي ينتج في "دومان نيفيريس"، الذي لا يبعد عن شقتي سوى بضع كيلومترات.

في هذه اللحظة أتوق للجلوس على صخرة على قمّة جبل الرصاص وتأمّل السماء رفقة قنينتي.

أحتاج شيئا من السلم والهدوء. لا أرغب في سماع شيء سوى ترنيم الطبيعة وموسيقى عناصرها. أحتاج لحظات صفاء ونقاء بعيدا عن جنون البشر.

عزيزتي استحال عليّ الرقص فجسدي يخونني وكم أودّ أن أرقص ...

استحال عليّ الإغراء فلقد مات القلب ... وماتت كلّ الرغبات الجسدية أيضا

أصبحت كلّ الليالي متشابهة. فبداية الليل للعمل. أنهمك أمام جداول "الأكسال". أحاول وضع قائمات الأدوية المفقودة هنا، وأسماء من يحتاجونها، وأسماء من تطوّعوا لإحضارها من الخارج ...حتى لا أنسى وحتى لا تختلط الامور. أمّا باقي سويعاته فهي أرق وسهاد وغثيان وحرارة ...

حبيبتي هنا سرقوا منّا الحلم والضحك والرقص، هنا سرقوا مياهنا وفقّرونا ويحاولون سلبنا حقّ الحياة، حتى الأدوية مفقودة يا مها. لم أتصوّر يوما أنّني سأعيش لحظة كهذه ... صادروا حقّنا في الحياة باسم الحرية والديمقراطية.

وبين الفينة والاخرى يصادرون حقّنا في الاعتقاد وحقّنا في الرقص وحقّنا في اختيار الشريك وفي حقّنا في الحبّ وقد يصادرون حتى حقّنا في الموت بسلام.

لينا بن مهني

من تونس الى الصين

14 جويلية 2018

كان لرسالة مع لينا وقع علي قلبي، بكيت كثيرا

وبكيت أكثر حين راسلني أحدهم قائلا: انتهى زمن لينا ولا داعي لدعمها.

تفاجأت وانصدمت وهل المناضلين أزمان؟ اليوم لينا وغدا إنسان آخر؟ ذكرني هذا الموقف بسياسة حكام العرب، البارحة يسندون أمريكا واليوم أتابع أخبارهم مع الحزب الشيوعي الصيني.

المفاجئ أنهم كانوا يتهمون الأمريكان والفرنسيين بمعاداتهم للإسلام، وها هي الصين تمنع إقامة الصلاة في المركبات الجامعية، بل أذكر جيدا كيف قام الأستاذ وانغ بالتنبيه على الطلبة الأرثوذكس القادمين من أثيوبيا، بعدم الصلاة جماعيا وأخبرهم بان إقامة الصلاة جماعة هي خرق لقوانين الصين، ناهيك عن الإحراجات الذي تتعرض إليه إحدى الطالبات الإندونيسيات لأنها ترتدي الحجاب، كل المظاهر التدين هنا مرفوضة وخاصة الإسلامية منها، هنا لا يخجل بعض الصينين بان يقولون لك أن الإسلام إرهاب، وانهم مع تعليم شعب الشنجاني تعاليم الحزب الشيوعي ليكونوا مواطنين صالحين.

13 اوت 2018

اليوم العيد الوطني للمرأة التونسية، أقضيه في عملي وأنا أدرس اللغة الفرنسية للأطفال الصينين، بمدرسة صينية للغات راتبي فيها لا يتجاوز 500 دولار، وهو راتب زهيد لأنني اعمل بطريقة غير قانونية بدون عقد بيني وبين المدرسة.

فهنا في الصين ممنوع العمل على الحاملين لإقامة طالب، وفي حال ما علمت السلطات بالأمر سيتم ايقافك، ولكنني كنت أقرأ القرآن كثيرا وأنا متوجهة للعمل، وأحاول أن لا اسمح للتلاميذ بالتقاط صور لي وأنا أدرسهم النطق وأغني لهم أغاني الأطفال وأتابع دروسهم المنزلية.

لم يكن الأمر سهلا، كان مرهقا مع زهد الراتب وعدد ساعات التدريس وأسلوب الصينين في العمل مع الأجانب، قرأت كثيرا عن العبودية ورأس المال وهنا يمكنني ان أقول: ملعون أبوك يا فقر!

عيد سعيد للتونسيات وللكادحات المغتربات أمثالنا، ورغم ذلك أتوجه لمقهى كازاخستاني لأطلب نرجيلة شرقية وشاي نعناع وقطعة من الحلوى وأكتب لهذا المناسبة المجيدة. فرغم الفقر أنا حرة أكيد وأسأل الله السلامة، وأسعى لأكون سيدة في وطني أو

في أي مكان على هذه الأرض الواسعة.

الحرية أمر عظيم مهما كانت تكاليفها، كم وددت لو كنت الى جانب لينا ويسرى وأسماء ونجاة ومريم، أغني معهن للوطن والثورة وأحمل العلم الوطني بين يديا واشتم حكام البلد ولا أستثني منهم أحدا.

14 اوت 2018

لماذا تكتب النساء؟ سؤال تظنه في الوهلة الأولى آتياً من القرون الماضية، حين كان الفلاسفة يناقشون ويتباحثون في مسألة هل للمرأة عقل أم لا. سؤال يجعلك تخمن هل أهلنا وحكوماتنا على علم بما توصلت به الأبحاث حول الذكاء الاصطناعي، وحول قدرة العقل البشري في الخلق وفي الاستدلال؟ وهل أهلنا على علم بأن العقل البشري لا يخضع للتقسيمات الجندرية بين المرأة والرجل؟

حين احتفلت بكتابي "عاشقة من إفريقية" قالت أمي: لن يتزوجك أحد!

طمأنتها بأننا شعب لا يقرأ، ولذلك فلتقل مها ما تشاء، لا أحد يهتم بالكتابة والقراءة في تونس ولا في الصين أيضا، هنا في عاصمة التربية بالصين الشعبية قل وندر أن يتعرضك صينيا يمسك بكتاب، الكل يمسك بالهواتف يلاعبون "الفري فاير" و"المونغا" وغيرها من اللعب الإلكترونية التي باتت جزءا من حياتنا.

ما هي العلاقة بين الزواج وبين ما أكتبه في السياسة والجنس والحب، فأخبرتني أن جرأتي ستكلفني الكثير والكثير وسط

مجتمع لا يزال يحارب النساء، فأجبتها بأنني أكتب للكتابة نفسها، لا أكتب لهذا المجتمع، دونت وكتبت وها أنا أتخلى عن حلم الكتابة من أجل الكتابة غدوت أكتب من أجل الحرية.

نعم الحرية، قالت سعاد الصباح منذ أكثر من ثلاثين سنة: لكني خنت قوانين الأنثى واخترت مواجهة الكلمات! من وضع هذه القوانين يا سعاد؟ ومن جعلنا خونة كلما صرخنا بكلمة لا؟

يوم أمس احتفالات بعيد المرأة في وطني الشهير بحقوق النساء، وطني الأخضر الذي يتحول هذه الأيام لسوق عكاظ، يتسابق فيه الساسة وحكام البلاد بأرق العبارات عن حقوق النساء وعن المنجز الوطني في دعم حقوق المرأة، كرنفال بصوت ذكوري يتحدث عني وأنا شاهرة سلاحي ضد مجتمع ينزعج من كلماتي في السياسة وفي الشأن العام.

يوم أمس، حملتني الذكريات إلى الضاحية الجنوبية بتونس قبل خمس سنوات، يوم اتصلت بي أمي هاتفيًا لاعنة كلماتي وما أنشره على صفحتي قائلة: "جبتلي العار بكلامك"! مقفلة سماعة الهاتف في وجهي، كنت حينها جالسة في مقهى رفقة نرجيلتي وكوب شاي وجهاز آيباد أقرأ كتاباً لفرج فودة.

توقفت عن تصفح الكتاب، وتخيلت وجه أمي الذي أنهكه ما أنشره من كلمات وتدوينات، بات أهلي يعتبرونها محل عار ومصدر خجل. ولاسيما تلك التدوينة التي نشرت فيها عن تعرضي

للتحرش من قبل أحد الشباب، وشرحت كيف نجوت بصعوبة من ملاحقاته لي حين كنت في طريقي إلى بيتنا ليلاً.

كان لكلماتي صدى كبير وسط مجتمع فيسبوك، فمسألة التحرش لا تزال من المواضيع المسكوت عنها في إعلامنا، وقلَّ ما تحدثت النساء في منطقتنا بجرأة عن تجربتهن مع تلك الظاهرة الوحشية. وحين نشرت عن ذلك الأمر في أغسطس 2014، انهالت على صفحتي التعليقات كحبات المطر بين مناصر ولاعن للمجتمع الذكوري، وبين من يدعون لتفعيل قانون يحمي النساء وتنظيم حملات ضد هذه الظاهرة التي باتت تهدد حياتنا.

وفي خضم ذلك التفاعل، كان البعض يسأل: لماذا عدت متأخرة إلى البيت؟ وماذا كنت أرتدي حين عاكسني ذلك الشاب الذي تحدثت عنه، بالإضافة لمن أصبحت تقدم لي دروساً في الأخلاق وكيف نحيا باحترام في مجتمعنا المسلم، وفي الأثناء كانت والدتي الطيبة تحاول إقناعي بالتوقف عن التدوين، وبأن ألجم قلمي الذي أصبح مصدر قلق لها ولا تجد نفسها قادرة على الدفاع عني ولا عن تحمل مسؤولية ما أكتب..

كانت أمي تحثني على ترك التدوين عن قضايا النساء والدين والمجتمع، وتنصحني بأن أحيا كباقي بنات الضاحية الجنوبية؛ أتوجه للسباحة عند الصباح وأشرب الشاي بأحد مقاهي الكورنيش، وأجد لي زوجاً يهديني باقة ياسمين عند محطة القطار ويدعوني لحضور عرض مسرحي مساء يوم السبت.

لم أكن أعير أي اهتمام لنصائحها ولمقترحاتها، ولم أكن أهتم بأسئلة أخي بل كنت أقف في صالون بيتنا بكل شجاعة أمام أمي وأقول: الخط داه خطي والكلمة دي ليا، غطي الورق غطي بالدمع يا عينيا! وأشدو بخطبة عصماء عن حقوق المرأة والثورة والسياسة ويتحول صالون بيتنا لساحة القصبة، وأجد أمي البسيطة تومئ برأسها وتبتسم وكأنها على علم بأن قهر المجتمع زائل، وبأن ما أحمله من عزيمة قادر على مواجهة الرقابة والعادات والأعراف.

مرت سنوات على تلك الحادثة، وها أنا في بلاد الصين أرافق دفتري وكاميرا التصوير وقلمي وأكتب وأواجه كل من يصادر حق الكلمات، فكلما تعرضت لمظلمة وجدت نفسي أحارب مرتين، الأولى لرفع الظلم والثانية من أجل الكلمات كما جاء على لسان السيد المسيح "في البدء كانت كلمة".

1 ستمبر 2018

لا أستطيع استلطاف رجل صيني مهما كانت مكانته، مزاجي مشرقي عربي بحت رغم أن شبابنا لا مقاييس لهم في الجمال، تراهم يعشقون كل شيء كتجار تيانجين يتاجرون بدون أخلاق ولا مقاييس.

تخبرني صديقتي جيان أن رجال الصين أشداء وكرماء وفاتنين، وأتظاهر بالإصغاء تارة وبالانتباه إذا ما أشارت إلى ان أحدهم يحاول مغازلتي، فابتسم لها وأخبرها بأنني لا أستطيع. هكذا لا أحيا إلا في مجال حرف الضاد وحدودها، أهجوا شعبها ويرق قلبي لكل صوت عربي لا يهمني مأتاه.

رجال الصين حسب جيان غير محظوظين، لا يقدرهم العالم وأكثرهم وسامة واجهوا مصائر بائسة.

تا خن شواي!

هو وسيم جدا!

لا تفرح كثيرا إذا ما قيلت لأحدهم هذه العبارة، ولا تهلل اذا ما شبهوه بالورود التي تزين فصل الربيع.

فوراء تلك الوسامة تكمن لعنات ومآسي، قد تحل عليك أي

لحظة كما حلت على من سبقوك من رجالات دونت نساء الصين أسمائهن بدموع التيه والوله.

يعتبر الفيلسوف الصيني كونفوشيوس أن الرجل الوسيم هو كل انسان يحظى بالفضيلة وبمكانة اجتماعية عالية. وكان السيد" بان ان" تجتمع فيه هذه الخصال، لقد عرف بأنه أديب ومبدع وذي خلق حتى قيل أن موهبته وسعت البحار. إضافة إلى نصاعة وجهه وجمال تقاسيمه، الأمر الذي جعل من نساء عصره يلاحقن عربته كلما مر بان ان في السوق، ويرمين بالفواكه والخضار عليها محاولين إيقافها، ويروى أيضا أن الشباب كانوا يجتمعون حوله لسرقة النظر من جمال وجهه المشرق.

عاش النبيل بان ان زمن حكم آسرة جين (266-420) وكان أجمل رجال عصره، حتى أن الصينين إتخذوا من إسمه مرجعا للجمال وأصبحوا يستلطفون بعضهم البعض بعبارة: "ماو سي بان ان! " أي أنت تشبه لبان ان.

لكن هذا الجمال لم يكن كافيا ليجعل من بان ان سعيدا، لقد عرف هذا الشاعر الكثير من الفواجع عبر عنها بقصائد شهيرة تدعى: "دا وانغ شي"، حيث رسم حزنه بعد إفتقاده لزوجته التي طالما أخلص لها واعتبرها مصدر حياته، وحين فارقته إختار بان أن يظل حزينا في بيته يكتب أشعاره، إلى أن وافته المنية حين قرر الامبراطور قطع رأسه بتهمة كيدية قيل انه أراد مساعدة احد أقرباء الملك للتمرد على الحكم.

موت بان ان لا يقل تراجيديا على موت "وي جي"، ذلك الشاب الذي فارق الحياة وهو في مقتبل العمر، يوم كان جالسا وسط الناس وأصابه مرض وضعف جسدي بسبب تحديق العامة في السوق لجماله المبهر. تقول الأسطورة أن جمال "وي جي" كان يسلب الألباب. لقد كانت الناس تجتمع حوله ولا تكف عن التمعن فيه لأنهم كانوا يظنون أنه تمثال مصنوع من أحجار اليشم الكريمة، وتقول الروايات أن هذا الجمال كان سبب في افقاد وي جي لقوته الجسدية، فبات الصينيون يؤمنون بأن جماله كان سببا في إنهاء حياته وهو في مقتبل العمر.

لعنات الوسامة طالت البلاط الملكي في زمن امبراطورية غاوتشان جونغ، في مملكة تشى الشمالية، لقد كان الابن الرابع للإمبراطور ونشيانغ، المعروف أيضا باسم الأمير"لا نلينغ" أشهر رجال عصره فطنة وقوة عسكرية وجمالا ووسامة، الأمر الذي جعل من جنوده يألفون الأغاني عن سحر وجهه.

بسبب جماله قررت المملكة أن تجبر الجنرال لانلينغ ارتداء قناع قبيح في المعارك، لأن وجهه الجميل لا يخيف الأعداء ولا يرهبهم، ولكن القناع القبيح لم يخفي بهاء لانلينغ فصيته ذاع جميع امبراطوريات الصين، الأمر الذي أثار الحسد في قلب ابن عمه الذي دبر له مكيدة تودي بحياة الجنرال الشجاع في سن لا يناهز الثلاثين، حين إحتسى كوبا من النبيذ المسموم بعد الانتهاء من إحدى المعارك.

سن الثلاثين، العمر الذي وافت المنية فيه أوسم رجال ممكلة يانويستفي عهد الممالك السادسة عشرة، حيث كانت الفاجعة مصير الإمبراطور "موراونجشو"، ذلك الحاكم النبيل الذي لاقى حتفه بعد أن ناضل من أجل شعبه أيام الحروب التي تعرضت لها مملكته من طرف الامبراطور فوجيان. ولكن تضحيات موراونج ووفائه لأهله لم تكفيانه شر المهالك بل قتل مغدورا من طرف رفاقه حين كان يستعد للحاق بعمه للدفاع عن المملكة.

يقول جبران خليل جبران أن "الجمال نصيب المتأملين وفتنة الناظرين"، وهذا ما يفسر رغبات آباطرة الصين في الاستحواذ على أجمل الصبيان والفتيات لتزيين قصورهم ومجالسهم. وهذا ما يعلل لنا أيضا، أسباب إلتفاف الناس في الأسواق حول كل رجل وسيم، يستجيب لمقاييس شعب الصين للجمال ألا وهي: بياض الوجه وطول الشعر وقوة الجسد والمكانة الاجتماعية والمستوى التعليمي، والتي يقول الصينين أن هذه الصفات قل ما اجتمعت على قلب رجل واحد.

و من ناحية أخرى، فإن الاهتمام الذي يوليه المجتمع الصيني بالوسامة، يفسر إرتداء العديد من الشباب لنوع معين من القلائد والسلاسل عليها خرز زرقاء وعلامات لدرأ العين والحسد كالتي نرتديها نحن في بلداننا العربية، إذ تقول الناس هنا أن الانسان لديه طاقات خفية خارقة يمكنه أن يسلطها عليك اذا ما أصاب قلبه بعضا من الغيرة، وعليه فالعين الحارة يمكن لها أن توقع بكل مخلوق جميل.

5 سبتمبر 2018

أعلنت جامعتي عن احتفالات العودة الجامعية، والتي ستقام بالقاعة الرياضية المغطاة التي أنشئت حديثا في المركب الجامعي، مبنى كبير وبه ملعب رياضي ستقام به الاحتفالات، كنت حينها قد قررت المشاركة في عرض ثقافي مع زملائي من الطلبة الآفارقة كان تحت اشراف جمعية الطلبة التانزانيين بالصين.

توجهت إلى: "غروسيفر" طالب في قسم الاتصالات درس معي محاضرات مشتركة في اللغة الصينية وبعض محاضرات في الرياضيات، وتفاجأت برده الرافض قطعيا لمشاركتي، لقد اخبرني ان العرض سيكون إفريقيا، وتم دعوة المجموعات الأفريقية بالجامعة للمشاركة وتم تنسيق بين المشاركين وأنا لقد تقدمت متأخرة للطلب. كان رده كاذب وقائم على رفضه لمشاركتي، لقد قدمت الجامعة منح مالية صغرى للمجموعات الفنية المشاركة، وكل مجموعة لها الحق في مبلغ معين وامتيازات لكل طالب مشارك في العرض.

انصدمت كثيرا من رده وقلت هل ترونني آسيوية؟ أنا من شمال

القارة السوداء، وأطلب المشاركة وليس لك سوى القبول واستمر النقاش طويلا، حاول "تدروس" الاثيوبي التدخل لصالحي مؤكدا انني لم أشارك في أي عرض ولا أي حفلة وهذا ما ينقص حظوظي في التقديم الى منحة أخرى.

كانت المجموعة تضم راقصين من: تنزانيا وزمبابوي ونيجيريا وأثيوبيا وزامبيا وغينيا الاستوائية وأنغولا، رافضة لمشاركتي لم يكن أمامي حل سوى ان أتقدم بشكوى بهم الى مكتب الطلبة الأجانب، والى منسق التظاهرات "وانغ" شارحة لهم أنه لا مكان لي وسطهم لأني التونسية الوحيدة ولا استطيع تكوين مجموعة، طلبت منهم تمكيني من المشاركة في اطار عرض فردي، حينها اخبرني "وانغ" انه لا يوجد عروض فردية في نظام المنح، وبالتالي علي التعويل على نفسي في ترتيب الملابس، والموسيقي، والاستعداد للتقديم لاختبار المجموعات بعد عشرة أيام.

سُر قلبي كثيرا بذلك الخبر، توجهت إلى غرفتي ابحث في ملابسي عن فستان يليق بالعرض وافكر في الرقصة المناسبة حينها قررت أن أرقص على أنغام لطفي بشناق ريتك ما نعرف وين! أغنية هادئة كلاسيكية تتغنى بشوارع العاصمة وزقاقها وعشق التونسيات يكللها. لم اختر أغنية الله يا بابا سيدي منصور يا بابا شعرت أنها نمطية جدا بالإضافة لارتباطها بإرث تونس الافريقي، وكنت حينها غاضبة من الطلبة الأفارقة بالسكن فاخترت أغنية مشرقية الهوى تونسية الطابع.

7 سبتمبر 2018

سحاولت أن أطبق ما تعلمته من تدريباتي في الرقص الصيني الشمالي، وانطلقت أحرك يداي عاليا يمنة ويسرة، وأحاول تهذيب حركات خصري الذي لا يفك عن الإرتعاش كأي راقصة تونسية ورقص البطون والخصور لا يدار بسرعة هنا، كما ان الصينيات لا يحبذن رقص البطون لأنه مرتبط بأذهانهم بالغجر الرحل في أقاصي شرق بلادهم.

حاولت، ولكن الأمر كان مرهقا لقد تغير رقصي، شعرت برجة لقد تحولت قوتي إلى يديا وساقيا وبغضا منها ظل في أركان بطني، بدأت أخطو مع يدي أحاول التوازن كأني أطير مثل البجعات وأستلهم الدلال من أيقونة الفن الصيني " تيريزا تونغ"، حاولت وغيرت شعري المجعد إلى أملس وبدأت في حمية قاسية واشتريت حزام بطن لأبدوا نحيفة قليلا.

10 سبتمبر 2018

موعد تقديم العرض الأولي أمام لجنة التحكيم للموافقة، سيكون على الساعة الواحدة بعد الظهر بعد عرض للطلبة من إقليم "تيبت"، كنت أنتظر دوري وأنا ارتعش خوفا من إمكانية قبولي من عدمها، نادوا حينها بإسمي أعلموني بأنه علي أن أكون جاهزة بعد 5 دقائق.

من حظي كانت هناك صديقتي "مايرى" الإيغورية ذات الجمال التركي، الطالبة بقسم اللغات متطوعة لتقديم المساعدات للمجموعات المشاركة، طلبت منها تصويري بهاتفها والدعاء لي بالقبول.

دخلت القاعة مع تصفيق من "مايرى" وقفت قدمت نفسي، وتقدمت بالشكر لأن اللجنة سمحت لي بالرقص وحدي. وانطلقت أجوب القاعة روحة ورجعة يديا تعانق السماء وخصري لا يهدأ كل عضو في جسدي يلقي السلام لقرطاج ويسافر نحو زقاق المدينة العتيقة.

انتهت الموسيقى، طأطأت رأسي احتراما لهم ولتصفيق الطلبة الجالسين ورائي، قلت: شكرا ومسحت دمعة انهمرت لم أستطع التحكم بها.

من ضحكات اللجنة علمت أنني قبلت، ولاسيما أنهم طلبوا مني صورة لعلم تونس.

تحيا بلادي البية!

25 سبتمبر 2018

مكتبة
t.me/soramnqraa

الساعة الخامسة بتوقيت بكين ستبدأ العروض، توجهت بعد الظهيرة إلى القاعة المغطاة، التقيت حينها بزملائي من تنزانيا من باركوا لي القبول، أجبتهم بكل فرح بأنني سعيدة بتقديم عرض للشمال الافريقي العظيم!

تدربت قليلا على الركح، استمعت لبعض النصائح تأكدت من علم تونس الذي سيوضع خلفي على الشاشة الكبيرة، كنت كالفارسة يومها انتظر موسيقى البلاد لأنتصر.

دقت ساعة الرقص: قرطاج ستحيي تحية!

نعم وطني سيحيي تحية كاريوكا كما حياها قبلا ادوارد سعيد، وقال عنها بعشق الصبى وحب الحياة: " يا لها من إمرأة!".

فالراقصات لهن سحرن خاص هو قبس من السماء، الشرق يأتي إليك اذا ما وضعت حزام رقص فوق بطنك وقررت التهادي على المسرح، وقد رأيت أنا ذلك القبس يوم رقصت على القاعة المغطاة، كنت أسابق الموسيقى وأهزم دقات الدف وصوت لطفي بشناق وتصفيق الجمهور الغفير الذي كان أمامي كنت أتقدم اليهم دون حياء.

أضع الشاشية الحمراء على رأسي، وأهز بخصري يمنة ويسرة وكلتا يدي تتابع حركات الموسيقي، ثلاث دقائق كانت كافيات ليقول عني الصينيون: "تونس ران خن بياولياغ "، شعب تونس شعب جميل!

نعم نحن الجميلين برقصنا وبطابع العشق الذي يكلل أغانينا.

انتهت الحفلة، ووقفت مع الراقصين أتلقى التشجيعات والصور مع الصينين والأساتذة الذين تفاجؤوا بهذا الفن القادم من شمال افريقيا، شعرت بأنني نجمة وشعرت بأنني فاتنة قادمة من قرطاج العتيقة هام بها تاجر روماني باع الغالي والنفيس لأجل مواعدتها على تخوم الصخور المترامية وراء كنيسة سيبيريان القرطاجني.

30 سبتمبر 2018

التقيت اليوم بسنية شابة تونسية تقيم في الصين منذ خمس سنوات، أستلطفها كثيرا وأحبها وكلما التقيها إلا وأرهق مسامعها بحديثي وشكواي من الجامعة، ومن معاملات الطلبة لي وأروي لها معاركي من أجل افكاري وصراعاتي الفكرية مع اليمنين والافارقة، وحتى تلك الطالبة البولندية لم تسلم من النقاش معي حول نظرتها للإسلام.

تمعن سنية بالإصغاء لي وتنهي جلستها معي بهذه العبارة: أنت هنا طالبة وباحثة بالجامعة الصينية لست كاتبة!

ماذا يعني يا سنية؟ اللعنة! هل أنا مزعجة كباقي كتاب البلد أتحدث في المثل وأهتف للتحرر وللجمهورية الفاضلة وأغرد خارج السرب؟

تبتسم وتخفي بعضا من السخرية وتحاول تلطيف عبارتها قائلة: تبدين كذلك!

أعود لغرفتي وأنا أفكر في حديثها المزلزل لي "كنت أظن انني غادرتهم يوم غادرت البلاد وقررت حينها ان أكون براجماتية أبحث عن قوت يومي وأطور من ذاتي بعيدا عن الشعارات وحلم

تغيير الكون وتحقيق العدالة".

لكنني أفشل في ذلك، فجل حديثي مع الأجانب يدور عن السياسة ومظالم المستعمر، ونقاشي من الصينين ينتهي بدهشة زملائي لأنني اغوص في بيانات الحرس الأحمر التي تمثل موضوعا غريبا للشباب الصيني الحالم بالحرية وباكتشاف العالم.

أحرجتني اليوم سنية حين سألتني عن وضعي المادي، وكيف علي التحسين منه وكيف علي ان أفكر في مستقبلي والتوفيق بين شغفي للأدب والسياسة، ودراستي وعملي في مجال الاتصالات.

ولكنني فاشلة! لي القدرة أن أقضي ساعات في نادي الخط الصيني، بين الحبر والورق والريشة أسبح في رائحة الحبر وأحلم بتجار الشرق من قدموا إلى سيان، وعلموا الصينين الخط العربي، أمسك الريشة وأحلم برسالة عشق تصلني بخط كوفي، تعج ببخور أهل العراق، أحلم وأحلم وابتسم وأنكب على الطاولة دون كلل.

لكنني أشعر بالتعب والشقاء والغربة والجوع والعطش إذا ما دخلت قسم الكمبيوتر في الجامعة، وإذا ما اعترضني أحد الأساتذة. لا أستطيع أن أحب دراستي كما أهيم بأحلام العشق وروايات فرسان الشرق وعشاق ممالك الصين القديمة.

لا اعرف كيف أوفق بين روحي الحالمة، وجهاز الكمبيوتر قبالتي الذي علي تطوير إحدى التطبيقات ببرنامج جافا عليه!

اللعنة!

20 أكتوبر 2018

تأكدت دعوتي للمشاركة في احتفالات نهاية السنة الدراسية المزمع عقدها في 14 ديسمبر القادم، دون أن أجتاز أي امتحان للمشاركة، علي فقط تقديم الأغنية والمقترح والرقص مع طلبة من دولة لاوس، سعدت كثيرا بالخبر وها أنا أحاول أن أقفل فمي عن الحديث عن الخراب الذي خلفه القصف الأمريكي لتلك الدولة أيام حروب فيتنام.

التقيت بالشباب: "لوفونغ" و"لاوي" في جناحهم بالمبيت الجامعي، شاركتهم الأكل البوذي وعبرت عن إعجابي بحساء الخضروات الذي أعدوه على شرفي، كان الجو رائعا وخاصة الاستماع لأغانيهم الوطنية والنقاش معهم حول عرضنا المشترك، قدمت أمامهم رقصتي قمر الغربة التي نالت اعجابهم.

حين عدت إلى غرفتي، استعمت إلى أغنية "أولاد المناجم: فيتنام يا أمريكا في قلوبنا تذكار والثورة يامريكا رشاشها غدار ثوار ثوار"

وضحكت كثيرا وشعرت بالرضاء الحمد لله.

لم أحدث الشباب عن الأغنية لأنهم يحلمون باستكمال بحوثهم

في مجال الذكاء الصناعي بإحدى الجامعات الأمريكية، ويسعون لتطوير لغتهم الإنجليزية ويشاهدون كل أفلام هوليوود ويرون في الحلم الأمريكي طوق نجاة وحرية، هذا الكلام الرائع عن الأمريكان لا يتحدثون عنه أمام الصينين، هذه روايات خاصة، فهنا في السكن لدينا ازدواجية خطاب، نقف في كل مناسبة ونغني نشيد الأممية الذي هو بدوره نشيد الحزب الشيوعي الصيني ونلقي السلام للمطرقة والمنجل الشيوعية وحين ندخل غرفنا نفتح حواسيبنا الخاصة ونتابع المنصات الأمريكية ونعد الأيام التي تفصلنا عن حلم التخرج الموعود.

10 ديسمبر 2018

أستعد للرقص بكل ثقة. التزم بالحضور ليلا لقاعة التدريب خلف المبيت الجامعي، رغم البرد وتلك الرياح الظالمة التي تقصف بملابسي. لو زارت فيروز الصين لما غنت رجعت الشتوية! وأجزم انها ستعدل عن تلك الكلمات وذلك للحن الجميل.

فصل الشتاء هنا عذابات وقلق وحزن وظلام يغطي المدينة، ترانا نشبه الملثمين نخفي وجوهنا من البرد ونرتدي القفازات السميكة ونمشي بحذر حتى لا ننزلق من الثلج ونشرب المياه الدافئة.

تبدأ التدريبات عند الساعة السابعة وتنتهي على الساعة التاسعة، أجلس أشاهد العروض وأرقص وحيدة في أول الصالة، لأن الطلبة الصينين يسعدون برؤية رقص الأجانب، ويصفقون لأي حركة أقوم بها وكان الأمر يغبطني كثيرا، أشعر بأنني منفردة في هذا المكان كفاتنة بفستان روماني قادمة من زمن قرطاج.

14 ديسمبر 2018

"نعاني وفي ناس بايعة العربي بنحاس

شدة وغصرات مايعة رعب وهلواس

وخرب لمتنا في الليالي لا غطا لا مخدة لا جراري من البرد فنيت"

ارتديت تنورتي البنفسجية الطويلة، أضفت عليها حزام رقص فضي اللون مع صدرية ممتلئة مجوهرات، لأبدو كراقصات الشرق، لأول مرة اضع حمالة صدر للرقص الشرقي كنت خجلة جدا حينها، ولكنني دربت نفسي على الوقوف بها والرقص وأنا ارتديها، كان شعور رائعا، تفهم من خلالها شموخ سامية جمال وتحية كاريوكا.

فجأة يصبح نهدك جزء من عرض فني تحيط به ذراعيك وأنت ترقصين وتتمايلين، الفتنة ليست بأمر هين! تحتاج ثقة وأيادي تلامس السماء وتواجه رياح الصين، إكسسوارات الرقص الشرقي الجميلة تجعلك تواجه تعليقات زميلاتك من يخبرونك بأن ملابسك مغرية!

وتنظر في أعينهن بكل تعجب وثقة، فتشعرهن أنهن جهلة بالتاريخ وبالجغرافيا وبالجمال أيضا!

أنا لست مغرية أنا أحمل فتنة راقصات الشرق.

فتنة الراقصات قد تجعلك تنشر صورك بكل ثقة، ضاربة عرض الحائط وصايا النخبة التونسية وحديثهم عن المثقف الملتزم بقضايا الأمة! لو رقص المنصف المرزوقي لقال الآن ننتصر!

وفهم معنى ذلك الشعار الأجوف الذي اتخذه عنوانًا لحملته الانتخابية ضد الرئيس الباجي قايد السبسي الذي نسيت ما هو الشعار الذي رفعه لقد كان يقول نكات ويرتدي نظارات مثل الزعيم الحبيب بورقيبة، ولكنه لم يحظ بسيدة مثل نعمة تغني له يا حبيب تونس! ولم يحظَ بفاتنة مثل صباح حين غنت: "أنا شفت جمال والنبي يامّة! والدنيا احلوت قوي يامّة.. أنا شفت جمال".

لم يكتمل حلم الباجي، فلقد تألق كتحفة قادمة من الزمن الجميل في توقيت كنا نحن كشعب نبحث عن أب ومنقذ يحملنا نحو المجد.

أنا شخصيًّا كنت أجد ضالتي في روايات صعاليك العاصمة وأخبار نسائها المارقات عن القوانين وكلما حملني الشوق لتونس؛ لا أتابع أخبار ساستها؛ أكتفي بمشاهدة الفنانة ليليا الدهماني وهي ترقص وأشعر بالدماء تعود لجسدي.

11 جانفي 2019

عيد ميلادي الثاني والثلاثين، لن يكون هذا اليوم عاديا، لأنني تمكنت من الحصول على عضويتي في المنصة الأفريقية الصينية للتعاون، كنت قد قدمت إليهم كخبيرة شمال أفريقية في مجال الاتصالات، ومستعدة لدعم الحوار الصيني الأفريقي، والحوار الأفريقي بين الشمال وجنوب الصحراء الافريقية، اجتزت المقابلة بنجاح وكان لي شرف الانضمام.

أهديت هذا النجاح البسيط لأمي ولكل تونسية مغتربة. وها أنا وحيدة في مطعم برسي بوليس الإيراني احتفل وحيدة بهذا الانتصار. لا رفيق لي الآن رغم محاولات ذلك الديبلوماسي العربي للاحتفال بعيد ميلادي ولكنني رفضت.

لا يفهم أحد أسباب انعزالي واصراري الجلوس وحيدة عند هذه المطاعم الشرقية الهادئة!

الوحدة ليست ضربا من الحزن بل هي مناسبة للحفر في الذات، لأهدي نفسي كوب شاي فارسي ونارجيلة طهرانية مع موسيقى شرقية لا أفهم كلماتها ولكن لحنها يحملني لحلم الشرق الجميل.

يلاطفني مدير المطعم كلما قدمت، وفي كل مرة يسألني إذا ما

كنت عربية أم لا وأجيب بأنني تونسية شمال أفريقية، فيبتسم لي مستعملا هاتفه للترجمة لأنه لا يحسن الإنجليزية ولا الصينية أيضا، أستحمل عجزه للغوي الذي كان يعوضه في كل مناسبة بكعك إيراني أو قهوة عربية كهدية منه ومن المطعم.

أجيبه بابتسامة معبرة على جزيل شكري لهذا الاهتمام وسط زخم بكين، هذه المدينة التي تعج بالجميلات وبمصانع الجمال، ومحلات تجميل للعناية بالبشرة والجسد والشعر والاظافر والأعين والخدود والشفاه وكل عضو في الجسد هنا هو محل عناية ومحل "تكاليف" يصح هنا قول الفرنسيين: يجب ان تتألمي لتكوني جميلة. وأنا أمام ما أواجه من صعوبات مادية في حياتي الطلابية، المال هو أم معاناتي وهو أم القضايا.

ثانية وثلاثين، قادمة من بلد يجهله الكثير هنا، وأحظى بمنحة جامعية لاستكمال دراستي، وضعي المادي والدراسي بالنسبة للصينين يبدو غريبا، فهم وبفضل سياسيات دولتهم وما لديهم من رخاء اقتصادي يستكملون دراستهم ومشاريعهم في سن صغير مقارنة بنا نحن.

أعمار الطلبة الأجانب القادمين من أفريقيا والبلاد العربية، تبدوا متقدمة بالنسبة لهم، أنا لا أنسى تعليق أستاذتي "جان" التي أبدت امتعاضها حين عرفت أنني أبلغ الثلاثين من عمري، ولم أتزوج وليس أي مشروع يدر لي بالمال! ربما لأن الصينين لديهم علاقة مختلفة مع الزمن، فالطلبة الصينيون ينهضون مع الساعة

الخامسة صباحا، ينجزون تدريباتهم الرياضية وثم يتوجهون للدراسة وبعد الساعة السادسة تراهم في المكتبة أو متوجهون للدوام النصف الوقتي.

شرف الانسان الصيني هنا في ماله وفي عمله، أما نحن فشرفنا في بين أفخاذنا، كالرسالة التي تصلني من ذلك الديبلوماسي العربي فيها: أنا احترمتك حين رفضت دعوتي لفندق بكين الدولي للاحتفال بعيد ميلادك!

وفي حال لو قبلت ماذا سيقول عني؟

"سيقولون ها نحن أبناء عم

قل لهم: إنهم لم يراعوا العمومة فيمن هلك

واغرس السيف في جبهة الصحراء الى ان يجيب العدم

إنني كنت لك، فارسا وأخا وأبا وملك". أمل دنقل.

24 فيفري 2019

أجمل الأيام وأحلاها، أنجح في ترتيب لقاء مع السفارة التونسية وممثلين عن "المنصة الأفريقية الصينية" بحضور السفير التونسي ضياء خالد، والقنصل عادل ددوش، وكل طاقم السفارة التونسية، موسى من غامبيا وفاطمة من نيجيريا وجورجيا من جنوب افريقيا وكنت بينهم أشعر بالفخر وأكرر على مسامعهم: سفارة تونس بيتكم وبيت كل الأفارقة.

نشرت الصور على منصات التواصل الاجتماعي بعنوان: تونس بيت الطلبة الأفارقة. بعد أن رتبت مشاركة السفارة التونسية في كل الأنشطة الديبلوماسية التي تقوم بها المنظمة DUAPA Africa China.

التقطنا صور رائعة وكان بيننا السفير الذي وجه لي دعوة لحضور احتفال عيد الاستقلال المزمع عقده بالسفارة التونسية في 20 مارس المقبل. كنت فخورة بالدعوة وفخورة الدعم الديبلوماسي التونسي لي.

أفريل 2019

أتلقى رسالة من تغريد فيها لوم وعتاب لأنني لم أكتب عن الثورة في السودان!

شعرت بالذنب والحزن حينها. أجبت على رسالتها أشرح فيها ما أمر به، وألتمس منها أن تتفهم أن الفيس بوك وكل تطبيقات التواصل الاجتماعي لا تعمل جيدا هنا إلا بـ "ف ب ن"، وهو تطبيق يمكنني من تجاوز الرقابة التي تفرضها الحكومة الصينية على هواتفنا وأجهزة الكمبيوتر. وحين استعمل "ف ب ن" تغدو سرعة الإنترنت بطيئة جدا، ولكن رغم بطئها أحاول أن أراسل أصدقائي واكتب لهم وأسأل عن أخبارهم.

شعرت بالألم لحال تغريد التي تراني رفيقتها اليسارية، التي تشاركها حلم الثورة والنسوية والتحرر، وفي أول لقاء جمع بينا في لبنان أخبرتني أن جمالي أمازيغي بحت يشبه لتلك القبائل التي رافقت المعز لدين الله الفاطمي حين قدم إلى مصر وشدت الرحال نحو النيل واستقرت هناك.

تحب تغريد الأمازيغ، وترانا جزءا من الأمة السودانية نشبهها وتشبهنا، ثائرين مقاتلين ونرقص دون أسباب.

جلست امام الكمبيوتر، أعدت حسابات "ف ب ن"، حاولت تشغيل البث الحي في الفيس بوك، لأوجه رسالة للمجتمع المدني التونسي، لكسر الحصار الإعلامي على الخرطوم وشوارعها التي تهتف باسم الثورة هناك. لكنني فشلت! الإنترنت كانت بطيئة ورغم ذلك كتبت: من تيانجين إلى الخرطوم: وجع الحرية واحد!

لعنت الغربة آلاف المرات، والمسافات التي تفصلني عن تونس ماذا لو كنت هناك بين شوارع البلد، لجمعت الشابات وغنينا: حكمونا باسم الدين ثورة ولجعلت من ذلك البيت الشعري: الطلقة ما تقتل يقتل سكات الزول! نشيدا مرفقا لحماة الحمى يا حماة الحمى!

ماذا لو كنت هناك يا تغريد! بكيت كثيرا، شعرت بالعجز بالموت، الصمت عن الثورة قاتل، الصمت عن الكلمات موت ألم يقل منور صمادح، إذا ما عشت فيهم فل تكن كالكلمات شاهد أنت عليهم وعليك الكلمات.

كتبت ودونت ولا أظن أن ما أكتبه كافيا ليعبر عما اختلجني من حزن، لأن تغريد غير راضية عني وكأنني خنتها، وهي التي تصرخ صوب البوليس السوداني وتغني للحرية.

تحب تغريد الشيخ إمام، وتمقت كل حكام العرب ورجالها، نسوية هي حد الثمالة! حد تقديس النساء، لو كانت تغريد في الصين لتوجهت نحو المجمع السكني الديبلوماسي بالسوداني،

وصرخت في وجوههم وفي وجه الحرس الصيني، صامدة تغريد كجبال النوبة لا تنحني رغم الجماعات المسلحة التي تحيط به والقصف الذي تُرمى به تلك الجبال.

توجهت إلى سريري لأنام ولم أستطع. وجه تغريد العابس كان أمامي يعاتبني ويسألني الانضمام، أو يطلب مني أداء الواجب تجاه الوطن، نهضت من سريري وضعت بعض الكريمات على وجهي لأخفي الهالات السوداء التي تحيط به، ولأتحدث عن الثورة بابتسامة ففي تونس كنا نرفع الزغاريد في المسيرات ونغني للحرية، الثورة فرحة وشعر وأجمل الكلمات، جلست أمام مكتبي لأسجل فيديو كان عنوانه: من قرطاج إلى الخرطوم، تحدثت باسم قرطاج التي ناظرت روما وتعاملت مع الضفة الأخرى للمتوسط ندا لند!

قلت ما يجب أن يقال ودعوت لكسر الحصار الإعلامي ونشرت الفيديو ونمت!

صحوت، وعلى أحداقي بقايا دمع وكحل عين، اغتسلت وارتديت ملابسي وتوجهت للمكتبة لأستكمل بحثا حول جافا علي تقديمه غدا، فتحت هاتفي وجهازي وتفاجأت بحجم التغريدات والتضامن من تونس، كنت على جميع الصفحات التونسية بهاشتاج: "من تونس إلى الخرطوم"، وكانت لكلماتي صداها من قرطاج الى الخرطوم تحت عنوان: كنداكة الأمازيغ تتضامن مع الكندكات!

كانت الرسالة من أهل الى أهل وتلقيت رد امتنان من تغريد:
تعالي نزفك لأحلى زول سوداني!

16 افريل 2019

نحن يا سمراء شعب عاشق يجعل الورد زناد البندقية

يا عروس الحب عيناك هوانا كرم الله العيون العربية

هكذا قال كريم العراقي لبغداد.

وأنا عاشقة من إفريقية وراقصة كأهل العراق وبي شغف لعشتار للحب.

اليوم مثلت الطلبة الأجانب بجامعتي في مهرجان الربيع، الذي أقيم صباحا في الحديقة العامة بالمركب الجامعي بمشاركة رابطات طلابية من جامعات مختلفة، لقد حظيت بالمشاركة لأنني كنت جاهزة يوم طلبت الجامعة مشاركات للأجانب في هذا المهرجان، لم يستغرق الأمر الكثير من العناء حملت شال الرقص وسجلت مقطع نسابة للطفي بوشناق وتوجهت بسرعة البرق الى قاعة تقديم العروض، بعد أن أرسلت بريدا إلكترونيا باسم طلبة تونس بالصين وذكرت فيه ترحيب السفارة التونسية بمشاركتي واستحسانها للتعاون الصيني التونسي بالجامعة.

وصلت القاعة جلست أنتظر دوري، لم أشعر بالخوف هذه

المرة كنت واثقة بخطواتي وبيدي اللواتي أصبحتا أكثر ليونة، نادوا بإسمي ووقفت، بدأت الأغنية "نساية نحبك وانت نساية"، رقصت بكل هدوء رتبت خطواتي جيدا وضحكت للأساتذة وأنا اختتم رقصتي.

كنت على علم أنني سأحظى بهذه الفرصة، وسأكون تحت الأضواء في مثل هذا اليوم الربيعي، الذي ارتديت فيه الشاشية الحمراء مع حذاء أحمر وفستان أسود وأنا أختال فوق المسرح، رفعت رأسي وأنا أرقص وحاولت التحكم في طاقتي التي قسمتها مدة دقيقتين ونصف، لأغنية أحبها وتحملني إلى زقاق تونس وشبابيكها ومدينتها العتيقة.

أعلم أن الصينين هنا لا يفهمون لغتي ولحني الذي اخترته، لكنني عولت على حركاتي ووجهي وتقاسيمه علني أشرح ما خالج لطفي بشناق وهو يقول: "كنت تراني تعمل عليا بلعاني قنديل باب المنارة الثاني يضوي كان على لي حذايا. نحبك وإنت نساية".

وأنا أحب تونس رغم أنها تنسانا ولا تذكر أسمائنا، كرجل أحببته وخلف موعدي.

17 افريل 2019

"أبدعت مع فستانك الأسود" هكذا قالت أمي عن عرضي يوم امس الذي شاهدته عبر الفيس بوك.

رأيت السعادة في صوتها، وهي تتحدث عن رقصتي وعن خطواتي وعن جمالي وضحكتي وجرأتي.

أمي الخجولة، لها ابنة ترقص وسط الحشود، رامية عرض الحائط كل الوصايا والأعراف والتقاليد، ضحكت لتعليقها وسألت نفسي هل تراني أشبهها؟ أو ربما رأت في حلم الحرية التي ودت أمي تحقيقه منذ صباها؟

هي مريم التي يحبها الجميع لأنها مطيعة وهادئة ولها صفات "السيدة لايدي"، ابنة البحر اللطيفة المحافظة جدا، ومسالمة كنسائم الضاحية الجنوبية حيث تسكن بين البحر وجبل بو قرنين.

أمي التي تكتم غيظها وحزنها كي لا تجرح الآخرين، وتترك الألم يقتل صدرها. كل من يلتقي بها يؤكد أنني لا أشبهها، أنا أيضا على دراية بأنني لا أشبهها وبأنني لا ينام لي جفن دون أن أنتصر، أو دون أن أرد الفعل.

أظن أنني ورثت تلك القوة واللؤم والجرأة، من قبل والدي الجبلي القادم من شمال غرب البلاد، حيث انهزمت روما في حرب العصابات ضد قبائل الأمازيغ ومن يهزم أسياد الجبال في مجالهم الحيوي؟

20 أفريل 2019

حدث أمارير عني وقال:

وترقص عذراء قرطاج بعيداً في بلاد لا يمكن لأحد تعداد سكانها في كتابٍ واحد، ترقص على موسيقى تونسية لتحمل معها إلى أقصى الشرق رائحة شواطئ المتوسط، ونسيم سوسة العليل، تقفز كما بجعة بيضاء على سطح بحيرةٍ من أنغام، لتنشر سعادتها وهي تلقي بذراعيها على امتداد جسدها الأنيق، لتلف حولها كل العبير الممكن، كل ألوان البهجة من بكين وصولا إلى قرطاج نفسها.

الرقص والموسيقى وجمال تونس، هي كل هذا وأشياء أخرى لا تباح، أشياء لا تُرى ولا تُسمع، بل يحسها المرء وهو يراها كما النحلة التي تقفز بين ورود بداية الربيع، لتكون هي العسل، وهي الفرحة الممكنة بكل معانيها، ترقص لتكسر قيود الخجل الكئيب، والحيرة الغارقة في الظلمة، ترقص مهى لتصل إلى أقصى حدود المنتهى وهي تغمض عينيها لتنسى جميع من هم حولها، حتى هي، ترقص وتخاطب الكون بجسدها المتناسق صارخة به، قائلة أنا المرأة، أنا السبب وأنا المسبب. رأيتها ترقص من عن بعد وأنا أتمنى

مشاركتها تلك الرقصة المليئة بالشغف، أشاركها تلك اللحظات التي لا مكان لسوانا فيها فوق المسرح الذي لا تنتهي حدوده حتى لا ينتهي فرح الكون كله، حتى لا تنتهي سعادة الأطفال، وشبق العذراوات، وجمال الطبيعة وصلابة صخور جبال أكاكوس، رأيتها ترقص معلنة وحدة الكوكب جميعا عبر جسر يمتد من صحراء شمال إفريقيا الكبرى في اتجاه حدود سور الصين العظيم. هذا حديث أمارير وأمارير هو اسم الشاعر باللغة الأمازيغية أطلقه صلاح نقاب على نفسه وأظنه عدل عن أمره فالصعاليك أمثاله يعارضون كل شيء حتى أنفسهم، صلاح فوق الأسماء والانتماءات، عمقه الإنساني تجاوز كل التحالفات القبلية التي تعرفها ليبيا وفي قلبي تساؤلات كيف لشعب الشعراء ان يتقتل أبناؤه؟

29 أفريل 2019

اتصل بابنة عمي منى، هي صديقة الطفولة والصبى وتعلم عني ما لا يعلمه الكثير، منى التي أحب ظلمتها كثيرا حين كبرت، وحين بدأت أشق طريقي ككاتبة لم تكن تفهم مني أنني حالمة وأني أسابق الزمن وأسابق المدونات في تونس، علي أن ألحق وأكتب وأناضل وأرتدي أجمل الثياب، كانت منى فاتنة بجسد رشيق وددت لو امتلكته، وكان لها شعرا أملس يغطي جزءا من ظهرها كانت فاتنة وكانت راقصة وكانت محظ أنظار الشباب.

لا يمكن أن تواعد أحد وإلى جانبك منى.

كانت فاشلة في الدراسة، تفشل في كل المواد إلا مادة الرسم، وكانت تمتلك لكنة فرنسية وطريقة في طرح الأفكار تشعرك وكأنك أمام رئيس وزراء البلاد، لم تذهب منى إلى باريس ولكنها تتقن نطق: "الغا" كفاتنات باريس، وكان لها خطا عربيا عظيم كنت أستعين بها في إعادة كتابة الدروس في الدفتر.

كان خطي سيئا غير واضح، يشبه كثيرا لشعري الأشعث الذي يرفض الاستلام لمشط أمي، يوم كنت طفلة كانت أمي تحلم بعصا سحرية تغير بها شعري وساقي التي لا غيب عنها الجروح من اللعب في ساحة المدرسة.

كنت أحب اللعب والضحك مع الصبيان، أركض وأشاركهم الورق و"الدامة" لعبة تشبه الشطرنج، كنت أحب مجالستهم فلا أحد منهم يعلق على طريقتي في الجلوس، ولا عن ذوقي الفني الذي يقوم على أغاني حلم "الحرقة" والذهاب لروما وباريس وجمع المال من خلال بيع المخدرات والزواج من أجنبية شقراء.

كنت أردد تلك الأغاني وكأنني أشارك الشباب الحلم في الخروج بطريقة غير شرعية من تونس، وبصراحة القاطنين في الاحياء الشعبية لا يمكن لهم الحلم بغير ذلك، هناك بين البحر واليابسة يجلس الشطار يروون فيما بينهم حكايات الحرقة والمواجهات مع شرطة الحدود وآمال الأمهات وأحلامهن في مصوغ وزيارة بيت الله وسيارة فارهة.

وحدهم الصبيان من يحلمون خارج حدود الحي والمدينة أما البنات فكانت أحلامهن سندريلا ورجل يداعب شعرها ويلامس وجهها ويحملها الى إسطنبول أو أنقرة، أما أنا ونظرا لصعوبة ملامسة المسمى شعري، ووجهي الممتلئ حبوب، وساقيا المغطاة خدوشا، كنت أفضل أن التزم مكتبي الصغير وكتبي ودفاتري التي أكتب فيها أحلام الحب وأسماء أبطال روايات عبير التي أشتريها خلسة عن أمي، كانوا أبطالا راقيين، كتاب وموسيقيين ونبلاء، مختلفين عن شطار حارتنا ومثقفي البلاد من يظهرون على التلفاز ليرددوا شعرا في حكام البلد أو يقدموا مناحات عن القدس.

10 أغسطس 2019

اتصلت بسنية طلبت منها أن نلتقي، أخبرتني أن المطر يهطل بجنون وأخبرتها بأنني لم أعد أطيق الجلوس وحيدة في السكن الجامعي مللت كل شيء، وفي غضون أسبوعين سنعود للدراسة وسيطلب مني أستاذي المشرف منهجية مقالي حول تأثير الذكاء الصناعي في تونس، وأنا أريد الكتابة عن التكنولوجيا في الصين ولكن اختياراتي غير مقبولة فأستاذي يرغب في رصد مدى تطور التكنولوجيا في تونس، وخاصة سياسات الذكاء الصناعي وتطبيقاته وهو لا يدري بأن عبارة ذكاء صناعي نفسها لا يفقهها العديد من التونسيين، والمعلومات حول برامج التكنولوجيا تبدو شحيحة على الإنترنت، بل كل ما نقرأه الآن يدور حول الأزمات الاقتصادية التي تمر بها تونس ولا سيما بعد رحيل الرئيس الباجي قايد السبسي، رحيل لا يزال وقعه الأليم يشق قلبي.

لقد غادرنا "الباجي" هكذا أخبرت سنية وبكيت واحتضنتها.

شعرت باليتم حين رحل، وكأننا فقدنا عزيزًا. غادرنا رجل من الزمن الجميل وكأننا بذلك نفقد آخر آبائنا.

قبلت أنا وسنية عزاء "الباجي" من جميع الطلبة العرب وكان يبدو علينا الحزن فعلًا. فمستقبل البلاد لا يبدو واضحًا ولا نعلم

من سيحل محل "الباجي" وكيف سيكون؟

هل ذلك الرأس مالي الليبرالي نبيل القروي أم أستاذ القانون قيس سعيد من لا نعرف عنه سوى حديث في القوانين بلغة عربية كلاسيكية أم نزار الشعري الإعلامي المخضرم حديث العهد في عالم السياسة أم عبير موسى الوفية لبن علي وللنظام القديم؟ كلها أسئلة تثير الحيرة في نفسي وفي رأسي الرافض للتركيز في الذكاء الصناعي، رأسي الذي يصر دومًا على حملي لقرطاج والتفكير في خبايا الحكم هناك.

من أجل ذلك كنت أصر على لقائها لأشاركها هواجسي وخوفي على مستقبل البلاد وحزني على الفراق وأستمع منها وأستلهم منها الصبر والتسامح وقدرتها على التأقلم مع المجتمع الصيني.

سنية شابة طويلة القامة فاتنة يقع في غرامها الشباب الصيني والروسي والأوروبي. فملامحها غير عربية وجسدها ممشوق ولكنها ترفض الارتباط بأي منهم؛ لأنها أصيلة سيدي بوزيد والسبع سنوات التي قضتها في الصين لم تُنسِها وصايا أمها وحلم الاستقرار في سيدي بوزيد.

سنية وطنية إلى حد كبير ونطلق عليها اسم "البرنسيسة" لأنها تتحدث الصينية بطلاقة وتعمل كمترجمة ومسؤولة علاقات بإحدى الشركات الصينية وحين أصبحت صديقتها المقربة غدت أيامي في الصين أجمل وألطف.

تحولت سنية إلى ملاذ لي وسند وركن ألجأ إليه. لا يمر يوم دون أن أتصل بها وأخبرها كم أحبها وأستعين بها في كل ما أحتاج إليه في دراستي وحياتي وتعاملي مع الصينيين.

16 ستمبر 2019

وبي شوق لسامية جمال!

هل رأيتها لأشتاق إليها؟

وهل عانقتها يوماً وهي تبكي مظالم العرب والغرب؟

الإجابة: لا!

ولكنني شاركتها النصر حين رقصت على ركح من الضفة الأخرى من العالم، هناك في هوليوود، وحين حققت الحلم وحين قالت بأن المستحيل هين أمام سمراء النيل وردت على الطعنات بثغر باسم. ذاك الثغر الذي يجعلني أدمع كلما رأيتها تتمايل على المسارح، وتمسح برقصها آلام وصم اجتماعي اسمه الفقر والنظرة الدونية لكل امرأة قادمة من قاع المجتمع.

نعم نشتاق لمن يخبرنا بأننا قادرات على الحلم، ونحن لا نملك من الدنيا سوى خصر مشرقي وابتسامة وسمرة ريفية وقلب لا يخاف، وكان فؤاد سامية شجاعاً ولم يكسره بلاط الملوك. فمن كان يظن أن فريد الأطرش فطر قلبها حين رفض الزواج منها هو مخطئ. لأن سامية بعشقها له أخبرت صديقاتها من بني سويف هناك في ريف مصر المنسي، بأنها تجيد عشق ابن الملوك، وتجيد أيضاً الإطاحة بمجلس الملك فاروق حين رقصت أمامه حافية

القدمين هكذا كما شاءت هي فشاءت برقصها الأقدار. وشاء برقصها تاريخ مصر الذي جعل منها راقصة مصر الرسمية، فغدا رقص شرق بخصرها فناً يضاهي فنون الأوبرا وراقصات الباليه الرسمي فسُميت تلك الغزالة بالفراشة الراقصة.

عند كل حركة يد واستمالة كتف كانت تقول: أنا أنتصر وأنا صاحبة بديعة مصابني وأحيا في كل فضاء حر، كانت الحرية مسكناً لسامية اتخذته حين هربت من بطش زوجة والدها في بني سويف، وحين قررت أن تهرب مرة أخرى من عنف زوج أختها في القاهرة مصر. كانت سامية لا تحتمل العنف ولا الذل فكلما أهينت شدت الرحال وغادرت، وأعادت البناء من جديد، لم تكن جبانة بل حالمة بالحرية.

بعد خمس سنوات من الغربة، أصبحت أؤمن بالرحيل مرادفاً للحرية، فلا حرية تحت سياط الجلادين ولا حرية بين أناس يراقبون الضحكات ويعدون لك كم من مرة عدت متأخرة للمنزل وكم من مرة لامس العشق فيها قلبك؟ هناك في بلادنا حيث نحارب حب الحياة باسم العادات والتقاليد.

الحرية كلمة لمست معانيها حين رقصت أمام الجمهور الصيني والإفريقي هنا في العاصمة بكين، حين وقفت أمامهم وأنا أرفع يدي في السماء وأهدي السلام لسامية جمال ولكل راقصات الشرق وأقول لهن: موسيقى الشرق وطن وموسيقى الشرق بطولة تثور على جميع المسلمات. كنت أحاول أن أفتح

يدي وأمشي وأدور فوق المسرح، كنت أرفع ذقني إلى السماء عالياً وأبقي على ضحكتي وأنظر في وجه الحاضرين بثقة، كانت صديقتي البولندية الدكتورة مونيكا تصفق بحرارة وكانت إلى جانبها شقيقة روحي سنية التونسية التي رفضت أن تمسك بالكاميرا لتلتقط صوراً قائلة: أنا الآن أستمتع.

كنت أتهادى على المسرح روحة ورجعة، يمنة ويسرة وتتحرك يداي بكل سلاسة وكأنني أحاول الطيران، ولكن في الحقيقة أنا كنت قد رحلت حينها إلى الزمن الجميل، هناك يوم كان الرقص الشرقي إجابة عن سؤال كيف للمرأة أن تكون أجمل النساء.

انتقدني الكثير من أصدقائي قائلين بأنني بصدد بعثرة عملي الحقوقي ومشاريعي الأدبية بمثل هذه العروض، فأجبتهم بقول صديقتي ماجدة التي كانت تصفق لي بين الحاضرين حين أخبرتني بأنني أشبه راقصات الزمن الجميل فأخبرتها بأنني أعانق سامية والحرية حين يتمايل خصري فوق مسارح بلاد الصين "كيدي أعظم وأتحدى".

يوم كُسر كعب حذاء فاتنة الشرق وهي تحاول الاستدارة على الركح، اختارت الفاتنة أن تقف بثغر باسم وتنزع عن ساقيها زوج الحذاء وتستكمل الرقص حافية فمنحها تاريخ مصر لقب: الراقصة حافية القدمين.

خاتمة

مكتبة
t.me/soramnqraa

عند الختام، نأتي برقصتنا الأخيرة

ديسمبر، أستعد أنا للرحيل عن هذه البلاد لقضاء عطلة الشتاء في تونس ومن ثم أعود في شهر الخامس أو الرابع من سنة 2020 لمناقشة رسالة التخرج وبعدها أتقدم لبحث الدكتوراة.

أظن أنني سأستقر بالصين. لقد وجدت ضالتي هنا بين نوادي الرقص والمكتبات. كيف يخيم اليأس على قلبٍ يهفو للرقص ويهتف للراقصين؟

كانت حياتي روتينية وكئيبة. وقد تحولت إلى حياة وجمال حين قررت تحرير جسدي ومشاركة الصينيات الرقص، حينها تصالحت مع نفسي ومع تاريخي وعانقت سامية جمال وحبيبة مسيكة وسعاد محاسن وكل الفاتنات.

جميلات نحن كزهور اللوتس وورود الربيع الحمراء،

نحن نقش سومري، نحن متن قصيدة جاهلية، نحن قبس حرية أمازيغي الهوى،

نحن ساكنات البحر بقرطاجنة، نحن أعظم العاشقات،

نحن من نحتاج إلى أن نحفر في ذواتنا ونلامس عنان السماء.

هذه يومياتي في بلاد الصين البعيدة حيث أبحرت وكتبت

ورقصت ورفضت أن أكون نسخة مقلدة.

هنا كنت وفية للمها، غزال صحراء إفريقية وبلاد العرب.

هنا كتبتُ لأكون فكنتُ.

مها سالم الجويني

الكاتبة الأمازيغية الأكثر تأثيرًا في تونس لعام 2017

هي يوميات طالبة عربية/ أمازيغية باحثة في جامعة تيانجين الصينية، تبدو في ظاهرها أنها تدوينات لمواقف أو أحداث يومية تحدث لها وتمر بها، لكنها في الباطن تذخر بقراءة عميقة ورؤية فلسفية لمناحي الحياة كافة؛ علاقات البشر، والبلدان، والعنصرية المترسخة في عقول الكثيرين. وكون الكاتبة (أنثى) فهي تواجه كل ما تواجهه الإناث في كل مكان.

هي يوميات مليئة بالنوستالجيا، والعلاقات المتشابكة، والبوح، والثورة، والحنين الدائم للوطن الذي يحتويها متى شعرت باحتياجها إليه. كتاب يبدأ من قرطاج وينتهي في الصين، أو يبدأ من الصين وينتهي في قرطاج، مرورًا بالعالم كله بينهم. رؤية وقراءة متعمقة وربما تحليلية في بعض الأحيان، في لغة سهلة، سلسة، ومتدفقة.

الكاتبة تكتب، كأنما الكتابة هي النجاة، وهي المأوى الآمن لها لتواجه به العالم البارد، كتابة تتراقص حرة لا تخضع إلا لما تريده هي. رقصة عربية/ أمازيغية محملة بكل تراث الشرق، تتوق دومًا للحرية، وتأبى على الدوام أن تخضع أو تنكسر.

مها سالم الجويني: قاصة وكاتبة، خبيرة في مجال التكنولوجيا المتقدمة والحديثة، وحاصلة على ماجستير من جامعة تيانجين للعلوم والتكنولوجيا في الصين. عملت منسقة إعلامية في حملة الاتحاد الإفريقي لإنهاء زواج الأطفال في إفريقيا. صدر لها عام 2017 كتاب "عاشقة من إفريقية" عن دار صفصافة.

telegram @soramnqraa

ISBN 978-977-821-285-3
9 789778 212853
SEFSAFA PUBLISHING HOUSE
WWW.SEFSAFA.NET